

كتاب اليوم



أزمة كيسنجر

حرب أكتوبر وعملية السلام في الشرق الأوسط

حسين عبد الواحد

دار

أخبار اليوم

قطاع الثقافة

كتاب اليوم

يصدر
أول كل شهر

رئيس مجلس الإدارة :

إبراهيم سعدة

رئيس التحرير :

نبيل أباطة

□ فبراير ٢٠٠٣ □

□ عدد ٤٦١ □

أسعار كتاب اليوم
الثقافي في الخارج

● العنوان على الانترنت
WWW. akhbarelyom. org/kitab
● البريد الإلكتروني
akhbar el yom@akhbarelyom. org

● **الفتوى** ●

جمهورية مصر العربية
قاعة الاشتراك السنوي ٧٢ جنبها مصرياً

● البريد الجوي ●

● دول اتحاد البريد العربي ٢٣ دولارا
● اتحاد البريد الافريقي ٢٨ دولارا
● أوروبا وأمريكا ٤٢ دولارا
● أمريكا الجنوبية واليابان وأستراليا
٥٢ دولارا أمريكا أو ما يعادلها

● ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور
● ترسل القيمة إلى الاشتراكات

٢ (أ) ش الصحافة
القاهرة ت : ٠٧٨٢٧٠٠ (٥ خطوط)

OYATOI = SL: 10

7-777 • 1-800-4-A-RENT •

TAT : 1 8 0 0 4 4 4 4 4

● قطاع الثقافة في الصحافة

074-97- : 61, 62, 63

الجمهورية العظمى	٢	دينار
الفرنك	٢٠	درهم
الدينار	١٠٠٠	أيرة
الآرمن	٢,٥٠٠	دينار
العملاق	٢٠٠٠	قلس
الرويت	١,٢٥٠	دينار
الرومية	١,٥	ريالاً
الرومان	٢٢٠٠	قلس
الرواني	٢,٥	دينار
الرواني	١,٢٥٠	سنتا
الرواني	١,٥٠	إ. م.
الرواني	٦٠٠	سنت
الرواني	١,٥٠٠	دينار
الرواني	١,٥٠٠	ريال
الرواني	٢	دولار
الرواني	٢٠٠	ريالاً
الرواني	٨٠	جني
الرواني	٦٠	فرنك
الرواني	١,٥	دروم
الرواني	١,٥	ريالاً
الرواني	٢	جني
الرواني	١,٥	فرنك
الرواني	١,٠	ماركات
الرواني	٢٠٠٠	أيرة
الرواني	٥	قروين
الرواني	٢٥	أيرة
الرواني	٥	فرنكات
الرواني	١,٠٠	فرانكا
الرواني	١,٠	شافل
الرواني	١,٥	كروين
الرواني	١,٥	كروين
الرواني	٢٥٠	روبية
الرواني	٢٠٠	سنت
الرواني	١٠٠	كروين
الرواني	٢٥٠	سنتا
الرواني	١٠٠	سنت
الرواني	١	دولار

كتاب اليوم

أزمة كيسنجر

حرب أكتوبر
وعملية السلام
في الشرق الأوسط

حسين عبد الواحد



الغلاف والتصميم الداخلي :

محمد الحداد





ازم
کسیر

حرب اکتوبر

وعملية السلام

في الشرق الأوسط

قَبْلَ أَنْ تَقْرَأَ

هناك البعض من رجال السياسة ومحترفي الدبلوماسية الذين يتعاملون مع القضايا الدولية والأزمات العالمية باعتبارها جزءاً من حركة التاريخ .. ولذلك فهم يرون أن دورهم الأساسي عند التعامل مع هذه القضايا والأزمات هو السعى لتسويتها في اتجاه المسار الصحيح لهذه الحركة من أجل ضمان الوصول إلى نهايات طبيعية قادرة على الاستمرار والصمود في مواجهة أية رياح عاتية أو عواصف شرسة تحاول عرقلة حركة التاريخ ..

وهناك أيضاً البعض الآخر من الساسة الذين تسيطر عليهم أوهام العظمة وتتضخم لديهم « الانا » لدرجة التعامل مع حتميات التاريخ وقوانين الجغرافيا ، التي لا مفر من الخضوع لها ، باعتبارها متغيرات يمكن التلاعب فيها بقدر بسيط من العبقرية التي يتمتعون بها والقوى الخارقة التي يمتلكونها !.

وهكذا يتوهم هؤلاء أن لديهم القدرة على التحكم في مقدرات الملايين من البشر ، وتغيير حدود الأمم والدول .. وربما أيضاً

السيطرة على انفجارات البراكين وحركة مياه البحار والمحيطات..
مداً وجزراً !

وهنرى كيسنجر ، أشهر الساسة الأمريكيين فى القرن
العشرين ، نموذج نادر لهذا الطراز من محترفى العمل السياسى
والدبلوماسى .. فمن أشهر المقولات التى إعتقد كيسنجر على
ترديدها بين الحين والآخر قوله لأصدقائه وهو يضحك زهواً
وفرحاً :

« أؤكد لكم أن الاسبوع القادم لن يشهد أزمة عالمية لسبب
بسيط هو أننى سأكون فى إجازة !! » .

ولا شك أن كيسنجر لعب أدواراً بارزة فى التعامل مع كثير من
الازمات العالمية .. ولكنه كان يفعل ذلك دائماً بأرزة فى موقع المسيطر
على كل الامور والذى يستطيع توجيهها فى أية ناحية يشاء !!
وينطبق هذا الوضع بكل تأكيد على رؤية هنرى كيسنجر لدوره
فى منطقة الشرق الأوسط ، حيث تشير تصريحاته ومقالاته
ومذكراته العديدة حول هذه الأزمة إلى أنه ، دون أى محاولة من
جانبه للتواضع ، كان هو الذى يصنع الأزمة .. وهو أيضاً الذى
كان يضع لها الحلول !!

ويتجلى ذلك بكل وضوح فى أحدث كتب المذكرات التى
أصدرها كيسنجر مؤخراً بعنوان (الأزمة) والذى لجأ فيه إلى
أسلوب جديد لتأكيد سطوته وسيطرته على إثنين من أخطر
الازمات التى شهدتها العالم فى القرن العشرين .. الأزمة الاولى

هي حرب أكتوبر وبداية أول خطوات صنع السلام بين العرب وإسرائيل .. أما الأزمة الثانية فهي المرحلة الأخيرة من حرب فيتنام .

وهذا الأسلوب الجديد الذي لجأ إليه كيسنجر يمكن تشبيهه بما يفعله « الحاوي » عندما يفاجيء مشاهديه المبهوتين من فترة لأخرى بإخراج أرنب من أحد أكمام قميصه أو شعبان من جرابه !! فقد اعتمد كيسنجر في كتابه الجديد على بعض التسجيلات التي انتقاها بعناية من بين الاتصالات الهاتفية التي جرت بينه وبين مختلف الشخصيات الهامة داخل الولايات المتحدة وخارجها حول هاتين الأزميتين .

وهذه المرة اعتمد كيسنجر تماماً على أسلوب الانتقاء لكي يدعم وجهات نظره السابقة التي عبر عنها أكثر من مرة حول دوره كساحر يمسك في يده بكل الخيوط ويظهر الآخرين بقدرته الخارقة على صنع المستحيل والإتيان بالمعجزات !!

ولكن القراءة الدقيقة المتأنية لكتاب كيسنجر الأخير (الأزمة) .. ومقارنة ما تضمنته مائة هذا الكتاب بحقائق ووثائق أخرى حول نفس الموضوع ، تكشف بكل وضوح حقيقتين أساسيتين : الأولى أن كيسنجر ، وهو ساحر أو حاوي بارع بلا جدال ، قد حرص على تقديم بعض الحقائق التي تتفق مع الروايات الموضوعية الأخرى لنفس الأحداث بهدف اكتساب المصداقية اللازمة لتمرير أهدافه الأساسية .

والحقيقة الثانية ، أن الأزمة التي تحدث عنها هنري كيسنجر خاصة فيما يتعلق بحرب أكتوبر ١٩٧٣ كانت في واقع الامر هي أزمة الشخصية أو الخاصة عندما اكتشف أن كل حساباته السابقة كانت خاطئة سواء فيما يتعلق برغبة العرب في ، وقدرتهم على ، شن حرب لتحرير اراضيهم بالقوة .

وكان خطأ كيسنجر الكبير ، باعترافه الصريح هذه المرة ، هو فشله في إدراك الأبعاد الحقيقية لشخصية أنور السادات قبل هذه الحرب ، حيث كان ينظر إليه باعتباره شخصية هامشية في الأحداث وليس زعيماً حقيقياً ورجل دولة من أرفع طراز وفقاً لتعبير كيسنجر نفسه بعد حرب أكتوبر .

وهكذا ، فالأزمة التي يتحدث عنها كيسنجر في هذا الكتاب ، ربما تكون أيضاً هي أزمة سياسي عنيد يرفض الاعتراف بحقيقة أن دوره قد انتهى بعد أن بلغ الثمانين من العمر .. ويحاول ، كيهودي ، أن يبحث في دفائره القديمة عن وسيلة تعيده مرة أخرى من ظلمة الكواليس إلى خشبة المسرح ذات الرونق والبهاء .. والبريق !

حسين عبد الواحد



أزمة

كيسر

حرب أكتوبر

وعملية السلام

في الشرق الأوسط

تمهيد

بعد غياب عن الأضواء استمر لسنوات منذ نشر كتابه «الدبلوماسية» ، عاد وزير الخارجية الأمريكية الأسبق هنري كيسنجر مرة أخرى إلى الأضواء بكتاب جديد يكشف من خلاله العديد من الأسرار الخاصة بالسياسة الخارجية الأمريكية خلال حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ بين العرب وإسرائيل .. هذه الأسرار ظلت طوال الأعوام الثلاثين الماضية طي الكتمان ولم يطلع أحد عليها. كما تناول كيسنجر في كتابه الجديد أيضاً أزمة أخرى من أزمات السياسة الخارجية الأمريكية وهي تتعلق بالفصل الأخير من حرب فيتنام والهروب الأمريكي الفاضح من مدينة سايجون الفيتنامية والهزيمة الأمريكية على أيدي القوات الفيتنامية .

في هذا الكتاب يطرح كيسنجر نفسه بصفته المحرك الأساسي للسياسة الخارجية الأمريكية في هذه الفترة وهو طرح يحمل الكثير من الحقيقة . وتوضح الوثائق الرسمية التي حملها الكتاب أن كيسنجر لم يكن يتورع عن اتباع أي وسيلة مهما كانت من أجل خدمة أهداف السياسة الأمريكية في تلك الفترة التي كان من

أهمها تقليص النفوذ السوفيتي في الشرق الأوسط وتقوية ثقة العرب في مفاوضات السلام التي تقودها الولايات المتحدة الأمريكية .

ويحمل كتاب هنري كيسنجر الجديد عنوان « الأزمة - تشريح وتحليل اثنتين من أزمات السياسة الخارجية » : The Crisis : Anatomy of Two Foreign Policy Crises .

ويدخل هذا الكتاب بالتأكيد في إطار كتب المذكرات التي يكتبها المشاهير وصناع القرار حول مراحل مختلفة من حياتهم ويكشفون فيها أخطر الأسرار التي أتبع لهم الإطلاع عليها والمشاركة فيها خلال هذه المراحل .

وقد كتب هنري كيسنجر من قبل العديد من الكتب التي تضمنت ما لديه من ذكريات حول مختلف القضايا العالمية والأمريكية التي شارك فيها سواء خلال توليه منصب مستشار الأمن القومي الأمريكي أو وزارة الخارجية .

وكتاب « الأزمة » يتناول جزءاً محدداً من أفكار وانطباعات ووثائق كيسنجر بخصوص أزمته في الشرق الأوسط وفيتنام اللتين شارك فيهما بدور أساسي ولعب أخطر الأدوار .

وقد حرص كيسنجر طوال الثلاثين عاماً الماضية على الاحتفاظ بوثائقه حول هاتين الأزمته في مكتبة الكونغرس الأمريكي .. ووصل حرصه ذلك إلى حد أنه أوصى بعدم الكشف عنها أو السماح لأحد بالإطلاع عليها إلا بعد مرور خمس سنوات على وفاته !!

والثير أن كيسنجر طلب أيضاً عدم السماح للمجلس القومي

الأمريكي للوثائق « دار المحفوظات الرسمية » بالحصول على أي نسخة من هذه الوثائق السرية وهو ما يزيد الشكوك حول طبيعة محتواها .

وقد وصف كيسنجر هذه الأوراق بأنها « خاصة » وتتضمن المحادثات المباشرة والتليفونية التي كان هو أحد أطرافها .

باختصار ، بذل كيسنجر كل جهوده ومارس أقصى ما لديه من نفوذ لكي تبقى هذه الوثائق الخطيرة حكراً عليه وليس من حق أحد غيره أن يعرف شيئاً عن محتواها أو مضمونها قبل الموعد الذي حدده بنفسه وهو مرور خمس سنوات على وفاته !!

ولا شك أن الكثير من التفاصيل التي يذكرها كيسنجر في كتابه قد أعلقت بالفعل من قبل غير مصادر أخرى . ولكن أن يتم الكشف عن هذه الأحداث والتطورات عن طريق كيسنجر ومن خلال الوثائق السرية الأمريكية يضيف لها الكثير من المصادقة .

وأبرز مثال على ذلك ما تكشفه وثائق كيسنجر حول الدور الأمريكي خلال مرحلة الحرب العربية - الإسرائيلية في أكتوبر ١٩٧٣ ، فقد أوضح كيسنجر بما لا يدع مجالاً لأي شك حقيقة الدور الذي لعبه هو شخصياً وجميع المسؤولين في الحكومة الأمريكية بما في ذلك الرئيس الأمريكي نفسه من أجل إنقاذ إسرائيل من هزيمة ثقيلة في حرب ١٩٧٣ . وتؤكد وثائق كيسنجر أن الولايات المتحدة حشدت كل قواها الدبلوماسية على الساحتين الإقليمية والدولية من أجل تقاضى إمكانية أن يحقق العرب نصراً حاسماً ونهائياً على إسرائيل .

ومن أجل تحقيق هذا الهدف استجاب كيسنجر لنداءات الذعر

والخوف التي وجهها المسئولون الإسرائيليون لواشنطن في اللحظات الأولى من حرب أكتوبر يطلبون النجدة حتى لو تطلب ذلك تدخل القوات الأمريكية في الحرب .

وقد يرى البعض أن كيسنجر ليس بالشاهد النزيه أو المحايد الذي يمكن أن نعتمد بشهادته خاصة فيما يتعلق بتطورات الصراع العربي - الإسرائيلي .. فهو اليهودي المتعصب لإسرائيل .. وهو السياسي الاستعماري الذي لا يقر بحق الشعوب في الحرية والاستقلال .. وهو رمز لمدرسة سياسية تتجاوز في تدنيها أخطر المدارس التاريخية في هذا المجال مثل الميكافيلية .

ورغم ذلك ، تبقى حقيقة أن الوثائق التي كشفها كيسنجر في هذا الكتاب هي أقرب ما تكون إلى الاعتراف الذي يدلى به رجل انحسرت عنه الأضواء وأوشك أن يتوارى في غياهب التاريخ .



أزمة كيسنجر

حرب أكتوبر

وعملية السلام

في الشرق الأوسط

حريق الشرق الأوسط

■ في صباح يوم الأحد الموافق السابع من أكتوبر عام ١٩٧٣ أي في اليوم الثاني للحرب اتصل الجنرال الكسندر هيج رئيس هيئة العاملين في البيت الأبيض بكيسنجر وسأله : هل أصيب الإسرائيليون بالرعب ؟
وكان رد كيسنجر : نعم
أنهم كذلك تقريباً . ■

فى ساعة مبكرة من صباح يوم السبت السادس من أكتوبر عام ١٩٧٢ وفى الوقت الذى كان الإسرائيليون يحتفلون فيه بيوم الغفران كان وزير الخارجية الأمريكى فى ذلك الوقت هنرى كيسنجر يقضى عطلة نهاية الأسبوع فى إحدى الغرف بفندق من فنادق نيويورك . وقد أبلغوه أن رئيسة وزراء إسرائيل جولدا مائير حذرت الأمريكيين بصورة سرية من اعتزم المصريين والسوريين شن حرب مفاجئة على إسرائيل .

فهل كان يمكن لأمريكا إجهاض الهجوم بإبلاغ العرب بنوايا إسرائيل وبأنها لا تعتزم شن أى عدوان عليهم ؟

كان هنرى كيسنجر قلقا من أن الأمريكيين الذين ينحازون لإسرائيل قد يدخلون فى مواجهة مع السوفيت الذين سيدعمون حلفاءهم العرب . لذلك فقد اتصل بالسفير السوفيتى فى واشنطن أناتولى دوبرنين ودار بينهما الحوار التالى :

كيسنجر :

أبلغنا الإسرائيليين أن مصر وسوريا تخططان لشن هجوم

عليها خلال وقت قصير وأنه تم إجلاء الرعايا السوفيت من دمشق والقاهرة . فهل السبب في إجلاء الرعايا هو الخوف من هجوم إسرائيلي ؟ لذلك فإن الإسرائيليين طلبوا منا أن نبلغكم ونحن أيضا نطلب منكم أن تبلغوا العرب بأن إسرائيل لا تعتزم شن أى هجوم ضدهم .. ولكن إذا ما شن المصريون والسوريون هجوما ضد إسرائيل ، فإن إسرائيل سترد على الهجوم بمنتهى القوة . ولكن الإسرائيليين سيكونون مستعدين للتعاون من أجل تخفيف التوتر العسكرى .. والرئيس «نيكسون» يعتقد أنكم وكذلك نحن نتحمل مسئولية خاصة فى كبح جماح أصدقائنا .. وإذا استمر هذا التصعيد .. فسوف تشتعل الحرب .

وبعد قليل وفى صباح نفس اليوم قال كبير موظفى البيت الأبيض ألكسندر هيچ إن الرئيس سوف يعود بصورة مفاجئة من استراحته الخاصة فى فلوريدا إلى واشنطن . وفى الوقت نفسه كان نيكسون الذى بدأ يعاني فضيحة ووترجيت يمارس ضغوطا سرية على نائبه سبيرو أجنيو لكى يستقيل بسبب تورطه فى فضائح مالية . وهنا شعر كيسنجر بالقلق من احتمال أن تنقل هذه العودة المفاجئة للرئيس نيكسون رسالة خطأ إلى السوفيت بشأن الموقف فى الشرق الأوسط حيث اتصل ألكسندر هيچ ليدور بينهما الحوار التالى .

هيچ :

من الممكن أن نعلن أن عودة نيكسون تتعلق بقضية نائب الرئيس . فلا يمكن أن يظل الرئيس يستمتع بالشمس فى منتجع «كى بسكاين» فى الوقت الذى يجرى فيه ما يجرى مع نائب الرئيس .

كيسنجر :

يجب تأجيل عودته لفترة من الوقت .. افترض أن السوفيت تشددوا في موقفهم .. فستكون عودة الرئيس في ذلك الوقت خطوة جيدة . ولكن إذا عاد مبكرا فقد تبدو العودة تحركا هستيريا من جانب الإدارة الأمريكية . المطلوب أن يتم تعليق الأوضاع حتى تحدث الحركة الأولى في هذا الصباح .
فحتى الآن كان الأفضل ألا تلعب أو تتعامل مع الموقف باعتباره أزمة . وبدلا من أن نقول أى شيء يمكن أن نتحرك بقوة بدون أن نوتر الأجواء .

وخلال اتصال تليفوني وجد كيسنجر مورديخاي شاليف نائب رئيس البعثة الدبلوماسية في السفارة الإسرائيلية في واشنطن يتابع طقوس يوم الغفران « يوم كيפור وتبادلا الحديث التالي »

كيسنجر :

كيف حالك ؟

شاليف :

جوعان .

كيسنجر :

أليس مسموحا لك من الناحية الدينية أن تأكل وقت الأزمات ؟ وماذا عن الطيارين الإسرائيليين ؟ المفترض أن يأكلوا .
شاليف :

لا تقلق هناك أوضاع خاصة لمثل هذا النوع من المواقف . وطوال هذا اليوم كان كيسنجر يحاول الاتصال بالسفير

السوفيتي في واشنطن والمسؤولين السوفيت في موسكو من أجل الانضمام إلى الأمريكيين في الدعوة إلى وقف إطلاق نار عربي - إسرائيلي والعودة إلى خطوط ما قبل الحرب .

ثم قدم تعهدا بأن يقوم الأمريكيون والسوفيت بعد ذلك بالضغط على جانبي الصراع من أجل التفاوض حول الخلافات والتهديد بأنه إذا لم يتعاون أطراف الصراع ، فإن الأمريكيين والسوفيت يمكنهم استخدام الضغط من أجل تحقيق الهدف واتصل بالسفير السوفيتي دوبرنين ليدير الحوار التالي بينهما .

كيسنجر :

نستطيع أن نترك الحرب مستمرة حتى لحظة حاسمة عندما يتمكن الإسرائيليون من دفع القوات العربية إلى التخلي عن كل بوصة من الأراضي التي سيطروا عليها في البداية وقبل أن تبدأ القوات الإسرائيلية في التحرك إلى دمشق . وإذا كنا محظوظين واقتصدنا هذه اللحظة بالضبط فإننا نستطيع وقف إطلاق النار.. هل نستطيع إنكار أنه لا بد من بذل جهد لبدا المفاوضات ؟ «العرب» أثبتوا وجهة نظرهم «وكشفوا» عن أهمية المفاوضات من وجهة نظرهم . وقد كانت هذه لحظة نفسية جيدة بالنسبة لهم لكي يبعثوا بتلميح ذكي بدلا من الانتظار حتى يروا نتائج حربهم. وعموما فلن يأتي مساء يوم الاثنين إلا وتكون إسرائيل قد طردت كل القوات إلى مواقعها السابقة .

دوبرنين :

« ولكن العرب سيقولون لنا » « أنكم تتآمرون مع الأمريكيين والإسرائيليين » .

كيسنجر :

إذا توصلنا نحن وأنتم إلى طريقة لتسوية هذا الأمر الآن فسيكون هذا طرحا قويا لسياسة الوفاق.. ولكن إذا سارت الأمور على نحو مختلف فسوف نذهب نحن وأنتم يوم الاثنين إلى الأمم المتحدة وستصبح الأمم المتحدة ساحة للخطابة وتبادل الاتهامات. وسيكون ذلك كارثة . يجب أن نكون أكثر تشدداً وساكون قاسياً جداً يجب أن تتم تسوية الأمر قبل ذلك أو على الأقل الوصول إلى تفاهم .

في صباح يوم الأحد السابع من أكتوبر طلب المسؤولون الإسرائيليون إمدادات عسكرية أمريكية فحدث كيسنجر مع هيج عبر التليفون ليقول له هيج :

هيج :

هل أصيب الإسرائيليون بالرعب ؟

كيسنجر :

أنهم كذلك تقريبا . وهم يريدون الحصول على بعض المعدات التي وافق عليها الرئيس وأعتقد شخصيا أنه يجب إعطاؤهم بعض ما يريدون . إذا انتصر العرب فسوف يكون مستحيلا التعامل معهم ولن تكون هناك مفاوضات . وإذا ما تشددنا مع الإسرائيليين هذه المرة ، فلن يستمعوا إلينا بعد ذلك . وإذا ما تخلينا عنهم في هذا الوقت فلن يكون لديهم ما يخسرونه .

واتصل كيسنجر بالرئيس نيكسون ليبلغه بأن الإسرائيليين لن يقبلوا أي وقف لإطلاق النار إذا لم ينسحب العرب إلى خطوط ما قبل الحرب وهذا نص المحادثة التليفونية .

كيسنجر :

إننا نمضي نحو الجحيم حيث سنجد أنفسنا مضطرين لاستخدام الفيتو في مجلس الأمن الدولي ضد رغبة جميع الأعضاء على قرار يطالب بوقف إطلاق النار . ونحن لدينا رسالة تقول إنهم يطلبون المعدات التي يريدونها يوم الأربعاء أو الخميس ولكنهم لن يقبلوا وقف إطلاق النار قبل رد القوات العربية إلى مواقعها السابقة . وجهة نظري هي أنه يجب ألا نختلف مع إسرائيل أثناء هذه الأزمة وربما نستطيع أن نفعل ذلك فيما بعد على أساس أن إسرائيل سيكون لديها في ذلك الوقت ما تخسره .

نيسكون :

لا نريد أن نبدو متحازين تماما لإسرائيل في مواجهة الدول العربية البترولية . فعلى الرغم من أن هذه الدول العربية البترولية لا تشارك في الحرب إلا أنها قد تختلف معنا . إن العلاقات العامة مهمة بصورة رهيبه . يجب أن نترك الأمر للأمم المتحدة حيث يمكن لسفيرنا هناك جون سكالي أن يفعل الكثير دون أن يسبب لنا مشكلات .

وفي ظهيرة ذلك اليوم هاج كيسنجر بسبب عدم رد موسكو على اقتراح توجيه نداء أمريكي - سوفيتي مشترك لوقف إطلاق النار والانسحاب إلى خطوط ما قبل الحرب وتحدث في هذا الأمر مع هيج عبر التليفون ليتبادلا الحوار التالي :

كيسنجر :

بدأت أعتقد أن أولاد العاهرة في موسكو براوغوتنا . ونحن نتلقى استغاثات متكررة من الإسرائيليين لتزويدهم بصواريخ

سايدويندروز وما زالت وزارة الدفاع تراوغ في تلبية الاستغاثه .
هيج :

يمكنك أن تقول لهم إن الرئيس هو الذى امر بذلك .
كيسنجر :

الفكرة تقوم على أساس نقل الأسلحة إلى قاعدة جوية وتقوم طائرات شركة العال الإسرائيلية بنقل هذه الأسلحة بدون أن تلفت انتباه أى شخص .

فى مساء اليوم نفسه جرت محادثة تليفونية بين كيسنجر ونيكسون ، عندما قال كيسنجر إن الإسرائيليين يقاومون بضراوة . قال نيكسون إنه إذا استطاع هو وكيسنجر تحقيق وقف لإطلاق النار فسوف يعطى ذلك للرئيس نجاحا يحتاج إليه بشدة على صعيد السياسة الخارجية فى ظل فضيحة ووترجيت وهذا نص المحادثة .

كيسنجر :

الإسرائيليون يحاربون بشكل جيد .

نيكسون :

الشيء المطلوب الآن هو وقف الحرب . وسيكون هذا إنجازاً عظيماً ، واحداً من أعظم الإنجازات على الإطلاق . وسيعتقد الشعب الأمريكى أن الرئيس الأمريكى قوى جداً .

كيسنجر :

أعتقد أن الوقت مبكر قليلاً على حديث مثل هذا . ويمكن للإنسان عادة أن يشتم رائحة الخطر عندما يكون قريباً . وأعتقد أن الموقف سيتضح يوم الأربعاء أو الخميس .

نيكسون :

لماذا لا تأتى إلى البيت الأبيض لتناقش هذا الأمر ويمكنك أن تعلم ذلك .

وفى ظهيرة يوم السبت الثالث عشر من أكتوبر وبعد اسبوع من بدء الحرب واجهت جهود كيسنجر من أجل عدم تحول الحرب إلى مواجهة بين القوتين العظميين صعوبات شديدة فأجرى الحوار التالى عبر الهاتف مع دوبرينين .
كيسنجر :

أناأتولى ، تحدثت للتو مع الرئيس وطلب منى أن أبلغكم أنه فى ظل هذه الظروف لم يعد هناك مفر من التخلي عن القيود التى سبق أن تعهدنا بها لكم والخاصة بمنع تحليق الطيران الأمريكى فى سماء المعركة ، ونحن مستعدون لوقف الإمدادات الجوية عندما تكونون مستعدين للتوقف .

دوبرينين :

سوف أرسل هذه الرسالة إلى موسكو على الفور .
فى الرابع عشر من أكتوبر قدم كيسنجر تقريراً إلى نيكسون ودار بينهما الحديث التليفونى التالى :

كيسنجر :

المصريون يطالبون بالعودة إلى حدود ١٩٦٧ . وهذا مطلب خارج أى نقاش فى الوقت الراهن إلا فى حالة ما إذا منيت إسرائيل بهزيمة كبرى فى هذه الحرب . ولكن يجب أن يتحقق هذا المطلب المصرى من خلال المفاوضات التى تعقب هذه الحرب .

نيكسون :

بالنسبة للروس ، فإنهم يدركون جيداً أن الولايات المتحدة لم تحاول الضغط على إسرائيل بصورة فعلية أو كافية وهم يعلمون أننا كنا نراوغهم طوال الوقت . يجب علينا أن نضغط على إسرائيل عندما تقترب اللعبة من نهايتها ويجب أن يعلم الروس ذلك . يجب أن نضغط عليهم بقوة .

يوم السادس عشر من أكتوبر ووسط استمرار المهارك أدرك نيكسون الذى كان يمكن أن يفوز بجائزة نوبل للسلام لولا فضيحة ووترجيت وحصل عليها وزير خارجيته هنرى كيسنجر والمفاوض الفيتنامى لى دوك تو أن حرب أكتوبر فرصته لتجاوز إحباطاته ودار الحوار التالى بينه وبين كيسنجر عبر التليفون .

نيكسون :

أريد أن أهنئك .

كيسنجر :

أنا أعلم تماماً الشخص الذى يستحق هذه الجائزة ، وقد قلت لكل شخص التقيت به أنه على أن أشكرك من أجل إتاحة الفرصة لى وقبل كل شيء للقيادة التى خلقت هذه الظروف لكلى أحصل على الجائزة .

نيكسون :

حسنا حسنا . كنت أود أن اقترح أن تاتى إلى هنا فى المكتب البيضاءى بالبيت الأبيض وتلقط الصور وأنا أهنئك . وقد يكون ذلك شيئاً جيداً بالنسبة لك .

فى نفس اليوم شعر كل من كيسنجر ونيكسون بالاستياء من المناشدة العلنية التى تقدم بها عضو مجلس الشيوخ الديموقراطى مايك مانسفيلد وهو زعيم الأغلبية الديموقراطية لإنهاء القتال فى الشرق الأوسط وناقشا الأمر بينهما فى الحوار التليفونى التالى .

نيكسون :

ما رأيك فى الاقتراح الذكى الذى تقدم به مانسفيلد والذى يطلب بعقد مؤتمر قمة يضم قادة بريطانيا وفرنسا واليابان والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ؟ . وما هو الاسم الذى تقترحه لمثل هذا المؤتمر .

سيدى الرئيس هذا الاقتراح سوف يقتلنا . سنكون نحن والإسرائيليون ضد ست دول أخرى . هذا غير معقول !!

نيكسون :

إن الأمر يشبه تماماً الموقف فى فيتنام . فاصداؤنا الديموقراطيون يرون أن الحرب تنتهى ويحاولون الظهور فى الصورة . إنهم يطالبون بوقف هذه الحرب .

يوم التاسع عشر من أكتوبر دعا الرئيس السوفيتى ليونيد بريجنيف كيسنجر لزيارة موسكو لتسوية الخلافات بين الجانبين بشأن شروط وقف إطلاق النار . وقال كيسنجر لدوبرنين إن نيكسون وافق على تلبية تلك الدعوة حيث دار الحوار التالى بين كيسنجر ودوبرنين .

كيسنجر :

نفسهم أن هذه الخطوة سوف تخلق لنا صعوبات كبيرة من

جانب المؤيدين لإسرائيل بالإضافة إلى المحافظين الذين تسيطر عليهم الشكوك تجاه سياسة الوفاق . واعتقد أنه من المهم أن نعلن أن هذه الزيارة تتم بدعوة رسمية من الحكومة السوفيتية . ونحن نفترض أنه لن تقع أى أعمال من جانب واحد أثناء هذه الرحلة . لا تهديدات عسكرية . وأنا افترض أن كل منا سيعمل على تهدئة الموقف . ولا اعتقد أننا نستطيع التوصل إلى اتفاق نهائى أثناء وجودى فى موسكو . ولكننى سيكون بوسعى بالتأكيد التفاوض حول شروط وقف إطلاق النار .

دوبرنين : موافق .

كان نيكسون يريد استغلال زيارة كيسنجر إلى موسكو للفت انتباه الرأى العام الأمريكى بعيدا عن أسوأ مراحل فضيحة ووترجيت . فى هذه اللحظة وبمساعدة من جانب عضو مجلس الشيوخ الديمقراطى جون ستيفس كان الرئيس نيكسون يحاول الوصول إلى حل وسط أو اتفاق مع الكونجرس لتفادى الكشف عن محتوى الشرائط المسجلة السرية الخاصة بفضيحة ووترجيت.

وقد كان الرجل على وشك إصدار قرار بإقالة المدعى الخاص أرشيبالد كوكس الذى كان يطالب بمراجعة هذه التسجيلات وهو ما كان سيثير دعوة من جانب الكونجرس ضده بانتهاك القوانين والدستور . وجرت مناقشة الأمر فى الحوار التليفونى التالى :

هيج :

الرئيس يريدك أن تسافر وتعلن عن الرحلة الليلة .

كيسنجر :

مستحيل .. نحن قلنا للسوفييت أننا سنعلن عنها في الثانية صباحاً . ومتى يريدنى أن أفعل ذلك ؟
هيچ :

بمجرد أن تنتهى من مشكلة الاتفاق مع السيناتور ستينس .
عموماً يمكن أن يتم ذلك خلال الفترة من السادسة وحتى الثامنة مساء . وسوف ندعو إلى مؤتمر صحفى فى البيت الأبيض
لنعلن أنه أرسلك فى هذه المهمة بعد التشاور مع الرئيس
السوفيتى بريجينف .

كيسنجر :

لماذا يجب أن يفعل ذلك ؟

هيچ :

أولا لأنه يشعر بأنه من المفيد الإعلان عن ذلك فى الوقت الذى
يتم فيه الإعلان عن الاتفاق الخاص بالكشف عن تسجيلات
ووترجيت .

كيسنجر :

هل يريد أن يتم الحدثان فى الوقت نفسه ؟

هيچ :

نعم ..

كيسنجر :

كارثة .. رأى بأمانة أن هذه العملية ستبدو محاولة وخيصة .
فالامر سيبدو وكأننا نستخدم السياسة الخارجية للتغطية على
شئ محلى .

هيج :

الشيء المحلى ليس مثيراً للجدل ، فالاتفاق الذى تم التوصل إليه مع الديمقراطيين تسوية جيدة . كما أنه سيبدو مثيراً للقلق بالنسبة له أن يتم الإعلان عن الاتفاق بشأن قضية محلية وتجاهل أنباء زيارتك لموسكو فى الوقت الذى يريد فيه الجميع معرفة مستقبل الشرق الأوسط . أنا لا أرى أنها محاولة مدبرة للتمويه .

كيسنجر :

أنا لن أقوم بالربط بين السياسة الخارجية وفضيحة ووترجيت. وسوف تندم على هذه الخطوة بقية حياتك . أنا فعلاً متعاطف معكم . فالرئيس نيكسون سيضع هيئته على المحك فى هذا الموقف .

الآن السوفيت دعونا لزيارة موسكو . وعلينا أن نقوم بالزيارة بطريقة عاقلة وليس بدعوة رجال الإعلام إلى مؤتمر صحفى فى منتصف الليل . وما زال هذا الحدث مهماً بالفعل ولكن ليس لدرجة أن يعلن عنه الرئيس شخصياً فى مؤتمر صحفى على الهواء . فإذا أصر الرئيس على ذلك فسوف نفعل ذلك ولكننى أعتقد أنه سيندم على ذلك .

هيج :

حسناً سوف أرى ما يمكننى عمله .

أنباء الحديث مع دوبرنن حول رحلته إلى موسكو . دخل كيسنجر معه فى حرب ساخرة حيث جرى الحديث على النحو التالى :

دورنين :

هل أبلغهم أنك ستحضر على طائرة ركاب عادية ؟

كيسنجر :

قل لهم إننى سوف أذهب إليهم على متن قاذفة قنابل طراز بي

٥٢ .

دورنين : يضحك .

يوم ٢٣ أكتوبر يشكو السفير الأمريكى سكالى لكيسنجر

من أن المندوب السوفيتى فى الأمم المتحدة ياكوف مالك يثير المشكلات حيث جرى هذا الحوار .

سكالى :

مالك يتصرف وكأنه شخص أبله .

كيسنجر :

قل لمالك أن يهدأ . وقل له أن يضع لسانه داخل فمه وإلا

فسوف أرسله وراء الشمس فى سيبيريا . فأنا أعرف بريجينف أكثر مما يعرفه مالك .

٢٤ أكتوبر بعث بريجينف برسالة إلى نيكسون يهدد بعمل

عسكرى سوفيتى لك الحصار المفروض على الجيش الثالث

المصرى ولكن كيسنجر اتصل بالسفير السوفيتى فى واشنطن ليدير بينهما هذا الحوار .

كيسنجر :

لقد عقدنا اجتماعا لمناقشة رسالتكم . أنا فقط أريد أن تعلم أن

أى تحرك من جانب واحد بدون أن نحصل على فرصتنا ، سيكون الأمر خطيراً للغاية .

دوبرنين :

نعم ، اتفقنا .

كيسنجر :

هذه مسألة مثيرة للقلق للغاية . لا تضغطوا علينا . أريد أكرر
أن ذلك مرة أخرى لا تضغطوا علينا .

دوبرنين : حسنا اتفقنا .

وبعد ساعات قليلة بعث كيسنجر عبر ناشره الجنرال برنت
سكوكروفت برسالة إلى دوبرنين .

قل له أن يتوقفوا عن أى تحرك حتى نرد عليهم . وقل له إنك
غير مفوض بتقديم أى رد . وأننى فى اجتماع ولا أستطيع تركه
وأنهم سيتحملون العواقب الوخيمة لأى تحرك أحادى من جانبهم .
وإذا ذكر أى شيء فقل له إن لديك تعليمات ألا تعلق بأى شيء .
وهم سوف يدركون تماماً أننا نقصد ما نقول .

فى اليوم التالى وبعد التاهب العسكرى الأمريكى سحب
السوفيت التهديد . وسادت مشاعر السعادة كل من نيكسون
وكيسنجر حيث جرى بينهما الحوار التالى :

كيسنجر :

لقد تحدث الكثير من الصحفيين ووسائل الإعلام عن أزمة
الشرق الأوسط ودورك فيها وهذا أمر جيد جدا بالنسبة لك .

نيكسون :

قارن ذلك بما حدث أثناء المواجهة مع كوبا ، أزمة الصواريخ
الكوبية عام ١٩٦٢ ، حيث لم يتصل الروس على الإطلاق بكيندى
للمطالبة بإنهاء المواجهة على الرغم من أن أمريكا كانت تتفوق

عليهم بنسبة ١:١٢ في الأسلحة النووية وكان ذلك اختياراً رهيباً للأعصاب .

كيسنجر :

لقد حققنا نصراً عظيماً بلا شك .

نيسكون :

الطريقة التي تفاوضت بها كانت رائعة ولذلك فأنت في حاجة إلى النوم الليلة والحصول على قسط من الراحة حتى توجه لهم غداً الضربة القاضية .

يوم ٢٧ أكتوبر كان كيسنجر يحكى ما حدث لوزير الدفاع الأمريكى فى ذلك الوقت جيمس شيلزنجر . كان كيسنجر يرتب لأول مفاوضات مباشرة بين مفوضين مصريين وإسرائيليين مقابل تزويد الجيش الثالث المصرى المحاصر بالأغذية والأدوية وكان هذا نص الحوار بين الوزيرين .

كيسنجر :

أعتقد أن الإسرائيليين يصرون على ضرورة ألا يتولى المصريون قيادة الشاحنات التى تحمل الإمدادات وإنما يتولى سائقون تابعون للأمم المتحدة قيادة هذه الشاحنات وهو أمر مقبول لدى المصريين .

شيلزنجر :

هذا شيء رائع .

كيسنجر :

والآن أنا لا أعرف إلى من ننسب الفضل .

شيلزنجر :

امنحوه للرئيس فهو في أشد الحاجة لذلك .
 في اليوم التالي ، كتب كيسنجر يقول إن مسئولين عسكريين
 مصريين وإسرائيليين عقدوا أول محادثات مباشرة بينهما منذ
 ٥٢ عاماً تحت رعاية الأمم المتحدة . كما وافقت مصر على إجراء
 المزيد من المفاوضات للاتفاق على ترتيبات دائمة . وعلى الرغم من
 أن هذا لم يكن شيئاً كبيراً إلا أنه كان يعنى بدء المفاوضات على
 أية حال . ولم يلبث الأمر أن تحولت هذه الترتيبات إلى عملية
 لا يمكن وقفها أسفرت بعد ذلك عن اتفاق لفض الاشتباك الأول
 بين المصريين والإسرائيليين عام ١٩٧٤ ثم اتفاق سياسى فى
 سبتمبر عام ١٩٧٥ ثم معاهدة سلام عام ١٩٧٩ بين المصريين
 والإسرائيليين التى ما زالت سارية حتى اليوم .



أزمة كيسر

حرب أكتوبر

وعملية السلام

في الشرق الأوسط

اعترافات

إسرائيلية

■ ■ اجتمع وزير الدفاع موشيه ديان يوم
الأربعاء ١٠ أكتوبر مع رؤساء تحرير
الصحف الإسرائيلية اليومية واعترف
أمامهم بالفشل قائلاً : « لا توجد لدينا
الآن القوة الكافية لكي نقذف بالمصريين
إلى ما وراء القناة .. وأقول لكم بصراحة
لقد بات واضحاً أمام العالم كله أننا
لسنا أقوى من المصريين » . ■ ■

لم يكن اعتراف كيسنجر وزميله الجنرال ألكسندر هيچ بأن إسرائيل أصيبت بالهلع بعد الهجوم المصري - السوري في أكتوبر ١٩٧٣ مجرد تقدير خاص لاثنيين من المسؤولين الأمريكيين بشأن حالة إسرائيل في ذلك الحين . فقد اعترف الإسرائيليون أنفسهم بما في ذلك قادة الجيش الإسرائيلي الذين شاركوا في الحرب بأن ما حدث لهم في أكتوبر قد فجر لديهم كل مشاعر القلق والفزع والرعب . وقالوا إن الجيش الإسرائيلي أصيب بحالة مروعة من الارتباك إثر مفاجأة الهجوم المصري - السوري .

ومن أبرز الاعترافات الإسرائيلية بهذا الشأن ما كشفه عمير بورات ، أحد ضباط الاتصال ، الذي عمل إلى جانب الجنرال شموئيل جوتنن الملقب بـ «جوردوش» ، واحتفظ معه بتسجيلات صوتية للمحادثات التي جرت بين القادة ، بدءا بوزير الدفاع موشيه ديان ورئيس الأركان ديفيد إليعازر ، وحتى الضباط الميدانيين ، وكان هدفه من النشر تبويض صفحة قائدته ،

جوردوش الذي تم تلبسه ملف الهزيمة وخلع من منصبه كقائد اللواء الجنوبي . لكنه في الواقع كشف عن عمق صدمة الجنرالات الإسرائيليين وريكتهم وعن الزهو الذي كانوا يعيشونه ، ومن خلاله الاستهتار بالعرب وبقدراتهم حتى عندما وصلت إليهم معلومات دقيقة عن الهجوم المتوقع ، كما كشف عن عمق (حرب الجنرالات) في ذلك الوقت . وكيف استحكمت الخلافات الشخصية وأثرت على نتائج المعركة ، وكشف خلال ذلك أن التوتر والعداء بلغ حدا ، خطط جوردوش فيه أن يطلق الرصاص على ديان ويقتله .

وإحدى أهم النتائج التي يمكن استخلاصها مما كشفه بورات أن رئيس الوزراء الحالي ارييل شارون ، الذي كان قد أعفى من منصبه كقائد اللواء الجنوبي فقط قبل ثلاثة أشهر من الحرب وعاد إلى الخدمة الاحتياطية وتولى القيادة المباشرة لأحد الألوية في الجيش ، كان محورياً في هذه الحرب .. فقد خرق الأوامر وتمرد على الخطة العسكرية التي وضعتها رئاسة الأركان وأغلق الهاتف لكيلا يسمع أوامر جديدة ، في مرحلة معينة ، ثم اخترق خطوط الهجوم المصرية واجتاز قناة السويس في العملية التليفزيونية المعروفة بشجرة الدفوسوار .

ويتضح من هذه التسجيلات أن الجيش الإسرائيلي كان يخشى من الهجوم السوري في الجولان ، حيث تقدمت القوات حتى حدود ١٩٦٧ ، وحررت معظم أراضي الجولان ، وخافوا من أن تتابع القوات السورية تقدمها ووصلت الأوامر للجند أن يتركوا الجرحى في الميدان حتى يقعوا في الأسر ولا يشكلوا عائقاً أمام

الانسحاب من المواقع الخطيرة .

واستمرت هذه الحالة إلى حين تم صد الهجوم السوري إلى الورا ، وتم وقف تقدم القوات المصرية .

وبعدها ، شكلت إسرائيل لجنة تحقيق رسمية في أسباب الفشل ، وبعد أربع سنوات من تلك الحرب ، سقط حزب العمل عن الحكم لأول مرة وتسلم الحكم حزب الليكود بزعامة مناحم بيجين (١٩٧٧) وشغل فيها شارون منصب وزير الدفاع ، ولم تمر عليه سوى ٥ سنوات ، حتى تورط في حرب أخرى هي حرب لبنان ، فاستمر شارون في أسلوبه المخادع يومها ، وقال إن الحرب ستستغرق ٤٨ ساعة ، وأنه سيدخل إلى عمق ٤٠ كيلومترا في لبنان لكي يقضى على ما أسماه الإرهاب الفلسطيني ، لكنه في الواقع وصل حتى بيروت ودامت الحرب ١٨ سنة .

وكان الجنرال جورديوش ، الذي تولى قيادة اللواء الجنوبي (قبل ٢ أشهر فقط من الحرب) ، قد أصر على أن يقود الجيش في صد الهجوم المصري في الجنوب بصفته قائداً للواء الجنوبي ، مع أن رئيس الأركان عرض عليه أن يقود القوات الميدانية ، على أن يتولى القيادة العليا مكانه قائد اللواء الجنوبي السابق ، أرييل شارون ، وعندما رفض تقرر أن يتولى قيادة القوات الميدانية في المنطقة الشمالية من قناة السويس شارون .

ولكن مع بداية الهجوم والشعور بأنه هزم ، بدأ جورديوش يسجل بالصوت أهم الحوادث التي أجراها أو سمعها ودارت بين الجنرالات ، ولا يستبعد أن تكون تسجيلاته انتقائية وتقتصر على الحوادث التي تفيده فيما بعد لإثبات براءته من الفشل . ومع

ذلك، فإن هناك أهمية لهذه التسجيلات ، كونها توثق حالة الارتباك في صفوف الإسرائيليين وتشكل درساً يمكن استخلاص العبر منه حول خطورة وهم القوة والبطش .
وفيما يلي استعراض لأبرز ما جاء في هذه التسجيلات :
 - ٦ أكتوبر ١٩٧٣ - صباحاً :

الساعة ٧:٢٠ صباحاً يتصل رئيس الدائرة الميدانية في اللواء الجنوبي للجيش ، شاي تماری ، مع القيادة العليا ويعلن لدينا معلومات تفيد بأن شيئاً جدياً قد يحدث اليوم ، يجب أن نتصرف بيقظة ، نعتزم الخوذة ونرفع درجة اليقظة والحذر .

قبل ثلاث ساعات كانت معلومات قد وصلت عن توقع هجوم عسكري مصري شامل على إسرائيل قريباً جداً .

ومع أن قادة الجيش أيقظوا وزير الدفاع ، موشيه ديان ، ورئيس الأركان ديفيد اليغاز ، ليخبروهما بأن الاستعدادات لمواجهة الحرب بدأت بطيئة جداً ، وكانهم لم يصدقوا أن المصريين قادرون على فعل ذلك ، فبدأت جلسة مشاورات شبه عادية في قيادة الجيش .

- الساعة ٨:٣٣ يعلن تماری في اللاسلكي : أوامر : إخلاء المدنيين من خليج سليمان (نوبيع وذهب) الدخول في حالة تاهب قصوى في الساعة الخامسة مساء .

- الساعة ٩:٠٦ يعلن : هناك معلومات عن نية المصريين تجاوز خط قناة السويس اليوم بخمسة ألوية بواسطة سلاح المشاة ، المدرعات ثم سلاح الجو ، المعلومات من مصدر جيد جداً . علمنا أيضاً أن مصر بدأت تطلق الخبراء الروس

وتعيدهم إلى بلادهم وتنقل أسلحة مخطورة إلى ليبيا .

- الساعة ١٠:٣٠ يعلن : بدء تجنيد قوات محدودة من الاحتياط في الجيش الإسرائيلي .

- الساعة ١٤:٠٥ المصريون بدأوا في عملية قصف واسعة . دبابات مصرية تتقدم من الطرف الغربي للقناة . الطائرات المصرية تقصف في شرم الشيخ . غارات تضرب على مقربة من غرفة قيادة العمليات اللواء الجنوبي . القوات المصرية بدأت تجتاز القناة في المنطقة الجنوبية . معارك طاحنة تدور في جميع المواقع . في الشمال أعطبوا لنا ٨ دبابات . الكثير من القتلى والجرحى . نطلب دعماً جويًا .

- ٧ أكتوبر ، الساعة ١١ دقيقة الوضع ليس جيداً ، نحتاج إلى مساعدة جوية كبيرة جداً ، أشعل المصريون النار في حقول النفط . يجب إخراج العمال من هناك . وقف تدفق النفط . لا يوجد لدينا وقود . المصريون يواصلون الهجوم الكاسح على جميع الجبهات . الجنود يخافون ، لا يريدون الصعود إلى الدبابات .

- ٧ أكتوبر ، الساعة ١١:٤٠ وزير الدفاع ، ديان ، يترك الجبهة الشمالية وينزل إلى الجنوب نحو سيناء . قبل أن يصل ، ترد معلومات تقول إن المصريين أنزلوا قوة كوماندوز على مقربة من مقر القيادة الإسرائيلية للحرب . فطلب الجيش منه أن يعود . لكنه يرفض . ويصل ويدخل ومعه الجنرال رحبعام زئيفي - (الذي أصبح زعيماً لحزب «موليدت» العنصري ودخل حكومة شارون الأولى وأصبح وزيراً للسياسة ، وتم قتله خلال

الانتفاضة الأخيرة على أيدي مجموعة من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين).

ديان : هل تعرفون ما حدث لرجالنا ؟

جوردوش : كتيبة القدس صامدة بشكل غير عادي .

ديان : لدينا الآن مشكلتان . كيف نوقف الهجوم المصري .

وكيف نوزع الناس في المواقع (هنا ، يتصل ديان مع رئيس الأركان ويقول له : « أنا أكلّمك من مواقع جوردوش . كيف الحال . ما الذي تستطيعون المساعدة به ؟ لماذا ؟ أه نعم . الصواريخ المضادة للطائرات ، فهمت . إنها صعبة ، كانوا يحاولون منعني من الهبوط هنا بسببها ، لكنني لم أخضع ، (هنا ينهي المكالمة ويتوجه إلى جوردوش مرة أخرى) .

ديان : أنا أفهم أنهم أعادوا اثنين من جنودنا كلانا قد وقعا في الأسر لكي يقترحنا علينا الاستسلام . أعطوهم نفساً ، هجوماً كبيراً جداً ، لكن ليس الآن ، فقط فلا يوجد منطق في أن نحاول الآن اختراقهم . وهم سيواصلون إرسال المزيد من القوات .

- جوردوش :

أعداد الجنود التي يدخلها المصريون تدل على أن هذا هجوم ضخم .

- ديان :

ما أفهمه أن سلاح الجو يستطيع صدهم . ولكن يجب ألا نبني على ذلك . المواقع التي يمكن المقاومة فيها ، علينا أن نقاوم . ولكن لا أن نبادر للهجوم ، يمكن التسلل نحوهم في الليل . أما بالنسبة للجرحى فاتركوهم يقيمون في الأسر ، والجنود المعاقون

ينسحبون رويداً رويداً وبشكل فردي . وأنا أفضل أن يكون ذلك في الليل . من الواضح أننا سنعطى الأفضلية لبلدات الشمال ، فالسوريون قادرون على الوصول إلى طبريا ، بينما سيناء ليست بذات الأهمية ٢٠ كيلومترا أقل ، ٢٠ كيلومترا أكثر ، تظل أهون من الشمال ، لهذا سنعطى الأفضلية إلى تلك الجبهة ، خصوصاً بالنسبة لسلاح الجو .

٧ - أكتوبر ١٨:٠٢ جوردوش يبحث عن ارييل شارون (الذي كان قد عرف أن جوردوش رفض تسليمه القيادة ، فراح يسخر منه ويستخف بأوامره ، ولا يرد على الهاتف أو اللاسكي إذا كان جوردوش على الطرف الآخر) .

جوردوش (في حديث مع ضابط الاتصال في اللواء الذي يقوده شارون) : اسمع . ليس من المعقول ألا يكون شارون قرب الهاتف كل النهار ، فإين هو ؟

ضابط الاتصال : إنه في مفترق الطرق .

جوردوش : وأين أنتم الآن ؟

ضابط الاتصال : هاهو اريك (ارييل شارون) كلمه بنفسك .

جوردوش : مرحباً اريك ، لى طلب عندك ، أرجوك أن ترد على اتصالاتي .

شارون : أنا كل الوقت اتصل بكم ولا ألقى الجواب .

نحن ننفذ أوامرك وننتقل نحو القناة .

جوردوش: أنصت يا اريك . هناك تجمع دبابات ضخمة أريد

أن تقوم بتصفيته ، وأن تحتل رأس الجسر .

شارون : المعلومات عندي أنه لا يوجد رأس للجسر .

جوردوش : أريدك أن تأتي لحضور جلسة .
 شارون : يوجد عندي ٩٠ جندياً محاصراً كلهم في حالة
 سليمة . فقط اثنان قتلا وهناك بعض الجرحى . لقد اتسموا
 بالروح القتالية الرائعة ، وأنا أريد أن أحدث اختراقاً بالدبابات
 تحت غطاء المدفعية حتى أنقذهم ، لذلك لا أستطيع حضور
 الجلسة، محظور علينا إهمال هؤلاء المقاتلين .

جوردوش : ألم تعرف . هناك تعليمات أخرى في هذا المجال
 (يقصد أوامر بيان ، بترك الجرحى يؤسرون والانسحاب بأي
 ثمن) .

شارون : هذا الأمر .. (يقصد وزير الدفاع موشيه ديان) .

جوردوش : نحن بانتظارك .

شارون : لن آتي . تعالوا أنتم عندي .

وفي تسجيلات هذا اليوم نفسه أيضاً ، نجد كيف يتصرف
 قائد اللواء جوردوش ، بعصبية مع جنوده وضباطه :

جوردوش : مَنْ المسئول هنا عن تزويد الوقود ؟

ضابط برتبة رائد يرد عليه : أنا .

جوردوش : كم من الوقود أرسلت ؟

الرائد : صهرج واحد .

جوردوش : صهرج واحد يا غبي . هناك ٥٠ دبابة . أتعرف

كم تحتاج كل دبابة ؟

الرائد : نعم . ١٨٠ لتراً .

جوردوش : يا غبي . كل دبابة تستوعب ١٠٠٠ لتر . سجلوا

لي اسمه . أريد محاكمته بعد الحرب .

فشل العمليات الإسرائيلية في التسجيلات الجديدة تتعلق بيوم ٨ أكتوبر ، بعد الظهر وحتى ظهر اليوم التالي ٩ أكتوبر ، ففي هذه الفترة كانت قيادة الجيش الإسرائيلي قد أعدت هجوماً مضاداً لوقف الهجوم المصري . جوردوش من جهته خطط لأن تقوم القوات كلها بالزحف معاً إلى الغرب ، وإعادة احتلال قناة السويس وعبورها أيضاً ، حتى نضع أقدامنا فوق الأرض الإفريقية . إلا أن شارون كان يخطط لأن يدير الحرب لوحده من الجهة الجنوبية لسيناء ، على طريقته ووفق ظروفه ، كما كان يطلب ، وأوضح أنه كان بمقدوره أن يجتاز القناة من الآن ويطوق الجيش المصري ويخرجه ، ويقلب بذلك نتيجة الحرب رأساً على عقب ، إلا أن جوردوش يأمره بالامتنال للأوامر والعودة .

ويعلن شارون التزامه . لكن صد الهجوم المصري يفشل ، إذ دارت معارك شديدة وقاسية بين الجيشين وانتهت بفشل إسرائيلي واضح في تحقيق الهدف .

وقال شارون فيما بعد أن جوردوش لم يكن يحبه ، ولم يكن يرغب في أن يكون هو الذي يقود طلائع الجنود الإسرائيليين إلى أرض مصر الإفريقية ، بل أراد جنرالاً آخر من أصدقائه يدعى بيران كي يفعلها ، لكن بيران فشل ، وشارون تعمد في النهاية ، ونفذ الخطوات التي يريدتها فيما بعد ، ليس قبل أن تشعر إسرائيل بالهزيمة وليس قبل أن يقرر رئيس أركان الجيش تغيير جوردوش واستبداله برئيس أركان الجيش الأسبق ، حاييم بارليف .

على أثر الفشل ، اجتمع وزير الدفاع موشيه ديان (الأربعاء

١٠ أكتوبر) مع رؤساء تحرير الصحف العبرية اليومية ، واعترف أمامهم بالفشل قائلاً : « لا توجد لدينا الآن القوة الكافية لأن نقذف بالمصريين إلى ما وراء القناة إلا إذا خاطرنا بانتهاك قواتنا تماماً .. وأقول لكم صراحة ، لقد بات واضحاً أمام العالم كله أننا لسنا أقوى من المصريين » . وأخبرهم بأنه يتولى قول هذه الكلمات على الملأ في المساء ، على شاشة التلفزيون .

ونزل رؤساء التحرير وصدموا ، وقال له رئيس تحرير هآرتس جرشوم شكون : إذا كان ما قلته لنا الآن ، سيقال على شاشة التلفزيون ، فإن هزة أرضية ستحدث في أذهان الشعب في إسرائيل والشعب اليهودي كله ، وكذلك لدى الشعب العربي.

ويهتم أحدهم بإبلاغ رئيسة الحكومة ، جولدا مائير ، في حينه ، فتتصل على الفور بديان ، وتأمره بإلغاء اللقاء مع التلفزيون ، وتطلب من رؤساء التحرير ألا ينشروا أقوال ديان ، وتأمر بفرض الرقابة العسكرية لمنع نشرها .



أزمة
كيسلر

حرب أكتوبر

وعملية السلام

في الشرق الأوسط

السادات وأمریکا

■ قال الرئيس السادات: قصتي مع الروس طويلة.. منذ أصبحت رئيسا للجمهورية وقابلت الزعماء الروس أربع مرات وكان من الواضح بالنسبة لي أن هناك فرقا كبيرا بيني وبين الروس في تقييم الوضع بالشرق الأوسط. ■

وقد كشفت الخارجية الأمريكية في واشنطن وثائق السنوات ١٩٧٢ و ١٩٧٣ و ١٩٧٣ عن العلاقات الأمريكية - المصرية، وهي بداية الاتصال مع الرئيس أنور السادات التي يمكن تقسيمها إلى ثلاث سنوات:

السنة الأولى: سنة ما قبل حرب أكتوبر «حرب رمضان»، وكانت كلها هجوما وعداء لأمريكا، وامتدادا لهجوم وعداء عبدالناصر.

السنة الثانية: سنة الحرب ضد إسرائيل، وبعدها بدأت الوساطة الأمريكية بفك اشتباك القوات المصرية والإسرائيلية في قناة السويس.

السنة الثالثة: سنة ما بعد الحرب، عندما اقتنع السادات أن الحل عند أمريكا، وأعاد العلاقات الدبلوماسية معها، وزار الرئيس نيكسون مصر وبدأ الانفتاح على أمريكا.

وهنا مقتطفات من وثائق سنة ما قبل حرب أكتوبر، عندما كان السادات على طريقة عبدالناصر، يهاجم أمريكا كثيرا، لكن

أمريكا كانت تحاول التقرب منه وتوقع كسبه، بطريقة أو بأخرى.

من: قسم المصالح الأمريكية - القاهرة

إلى: وزير الخارجية - واشنطن

الموضوع: خطاب السادات

التاريخ: ١٩٧٢/٥/٣

ألقى الرئيس السادات خطابا بمناسبة عيد العمال، وتوقع أن تكون واصلتكم نسخة منه عن طريق «فبييس» (قسم النقاط الإذاعات الأجنبية التابع لوزارة الخارجية) وهذه هي ملاحظتنا عليه:

أولا: نفمة قوية معادية لنا، وهذه طبعا أصبحت شيئا عاديا.

ثانيا: رفض قبول «حل أمريكي» لمشكلة الشرق الأوسط، وهذه ليست المرة الأولى التي يقول فيها ذلك.

ثالثا: تحد واضح لنا وإسرائيل.

رابعا: رد على بعض الانتقادات التي يوجهها المصريون للنظام، مع حذر في علاج النقاط الحساسة.

● من: السفارة الأمريكية - بيروت

إلى: قسم المصالح الأمريكية - القاهرة (نسخة إلى وزير

الخارجية - واشنطن)

الموضوع: نزاع في مصر

التاريخ: ١٩٧٢/٥/٨

تحدث الصحف اللبنانية عما تراه نزاعا في مصر بين الجناحين اليساري واليميني. وقالت جريدة «البلاغ» التي تدعمها حكومة الجزائر، إن أساس النزاع هو محاولة المؤيدين لأمريكا،

والمعارضين لروسيا، التعاون مع أمريكا للوصول إلى حل سلمي لمشكلة الشرق الأوسط، وأن السادات يؤيد هؤلاء.

لكن ظهرت عراقيل أمام هؤلاء بعد مظاهرات الطلاب، واضطر السادات إلى الميل نحو تحسين العلاقات مع روسيا، واضطر لاختيار حلفاء للروس في مناصب قيادية في الاتحاد الاشتراكي العربي (الحزب الوحيد الحاكم في ذلك الوقت). وأن قائد القوات المصرية المسلحة، الفريق صادق يقود المؤيدين لروسيا، بينما يقود نائب الرئيس - حسين الشافعي - الذين «يأملون في حوار جديد مع الأمريكيين».

إن بعض الضباط القدامى الذين اشتركوا في قيادة الثورة المصرية سنة ١٩٥٢ (مع جمال عبدالناصر، وأنور السادات، وحسين الشافعي) وقعوا على بيان الجبهة الوطنية المصرية. وهؤلاء هم:

زكريا محيي الدين، كمال الدين حسين، وعبداللطيف البغدادي، وأن اليساريين الذين انتقدهم الرئيس السادات في خطابه يشكلون اتحاداً سوريا للطلاب المصريين بقيادة أحمد عبدالله...

● من: قسم المصالح الأمريكية - القاهرة

إلى: وزير الخارجية - واشنطن

الموضوع: اعتقالات

التاريخ: ١٩٧٢/٥/٢٠

وصلت إلى قسم رعاية المصالح الأمريكية تقارير عن اعتقال مصريين مشهورين من أنصار زكريا محيي الدين أو وضعهم تحت حراسة منزلية.

وقال لنا مصدر يعمل لصالحنا: إن اللواء متقاعد مهيب عبدالغفار اعتقل مع آخرين، قبل ثلاثة أيام.

وحسب معلوماتنا، عبدالغفار من أكثر المعروفين اجتماعيا لعدد من الدبلوماسيين الأجانب في القاهرة.

وهو أيضا صديق مقرب لذكريا محيي الدين.

وقالت مصادر تعمل لصالح السفارة في القاهرة إنه في نفس اليوم اعتقل د. مصطفى خليل «وزير الاقتصاد السابق» الذي كان وقَّع على بيان عبداللطيف البغدادي (بيان الجبهة الوطنية المصرية).

وقالت مصادر السفارة البريطانية إن بيان البغدادي كتب في منزل اللواء عبدالغفار، رغم أن عبدالغفار لم يوقَّع عليه شخصيا، ولم يوقَّع عليه شخصيا أيضا ذكريا محيي الدين.

● من: قسم المصالح الأمريكية - القاهرة

إلى: وزير الخارجية - واشنطن

الموضوع: تهديد

التاريخ: ١٩٧٢/٦/٥

اتصل بنا شخص مجهول وقال لموظفة استقبال الاتصالات التليفونية في العاشرة والعشر دقائق من صباح اليوم: «سنفجر السفارة الليلة».

وقالت موظفة استقبال الاتصالات التليفونية، وهي مصرية إن الرجل كان يتحدث بلهجة عربية فصيحة وأنها لم تقدر على تحديد ما إذا كان الرجل مصرية، أم غير مصرية.

ونحن اتصلنا بمدير شرطة القاهرة، وبمسئول البروتوكول في

وزارة الخارجية المصرية. ونصح مدير الشرطة بإغلاق مكتب القنصلية بقية اليوم، ونحن نفذنا ذلك. وأرسل عددا من الشرطة السرية والعلمية لحراسة المبنى ووضع سيارة شرطة أمام المدخل. ونحن شددنا مراقبة الذين يدخلون المبنى، وقام الموظفون الأمريكيون بتفتيش المبنى، وطلبنا من السكرتيرات الأمريكيات اللاتي يسكن في شقق المبنى قضاء الليلة مع زميلاتهن خارج المبنى...

● من: قسم المصالح الأمريكية - القاهرة

إلى: وزير الخارجية - واشنطن

الموضوع: تهديد

التاريخ: ١٩٧٢/٦/٦

ألقى الرئيس السادات أمس خطابا في ذكرى حرب سنة ١٩٦٧ أمام الجرحى العسكريين في مركز رعاية المحاربين القدماء في العجوزة.

وكرر السادات أن مصر ليس أمامها أي خيار سوى الحرب ضد إسرائيل لاسترداد الأراضي المحتلة وقال: «ليس هناك أي حل سوى النصر». (قال ذلك قبل أكثر من سنة من إعلان الحرب).

● من: قسم المصالح الأمريكية - الخرطوم

إلى: وزير الخارجية - واشنطن (نسخة إلى قسم المصالح

الأمريكية - القاهرة)

الموضوع: تعليق وزير سوداني

التاريخ: ١٩٧٢/٦/٢٨

خلال لقاء خاص مساء أمس مع إبراهيم منعم منصور «وزير المالية السوداني»، قلت إن حكومة السودان كانت تعلن استئناف العلاقات الدبلوماسية معنا في منتصف الشهر الماضي لكنها تراجع.

وقال الوزير إن السبب هو الخوف من إحراج الرئيس المصري السادات، وقال إن السادات عنده مساوئ لكن لا يوجد زعيم مصري غيره أفضل منه، بالنسبة للسودان وبالنسبة للغرب.

وقال الوزير إن السادات، عكس كثير من القادة المصريين لا يتمتع بقاعدة اقتصادية أو جغرافية أو طبقية معينة، لكنه يعتمد على تأييد عام من كل الفئات والمستويات، وأن هذه الفئات العامة لا تريد الحرب ضد إسرائيل وتفضل الحل السلمي.

وقال الوزير إنه يشك في أن السادات يريد مفاوضات غير مباشرة (مفاوضات عن قرب) مع إسرائيل حسب الشروط التالية:

أولاً: مفاوضات غير مباشرة.

ثانياً: في سرية تامة.

ثالثاً: بعد تنازلات إسرائيلية رمزية (ربما الموافقة على الانسحاب قليلاً من قناة السويس، أو فتح قناة السويس للملاحة).

● وزارة الخارجية - قسم الترجمة

من مقابلة جريدة «لوفيجارو» الفرنسية مع الرئيس السادات:

أنا أقرر طرد الخبراء الروس يوم ١٨ يوليو.. أنا قررت يوم

١٧ يوليو، وأعلنت القرار يوم ١٨ يوليو.. قصتي مع الروس طويلة، منذ أن أصبحت رئيسا للجمهورية، قابلت الزعماء الروس أربع مرات، ومنذ أول مرة كان واضحا بالنسبة إلى أن هناك فرقا كبيرا بيني وبين الروس في تقييم الوضع في الشرق الأوسط.

أحيانا كنت أفضل عدم الجدل معهم، على أمل أن يتمكن من حل خلافاتنا، وفي الحقيقة، أنا بذلت كل ما أستطيع لإقناع الروس برأيي.

أهم خلاف كان عن فهمهم لطبيعة الشعب المصري، ثم عن الأسلحة التي كانوا يرسلونها لنا. الروس لم يضعوا أي اعتبار للوضع النفسي في المنطقة ونسوا العامل السيكولوجي.

ثم هناك الخلاف حول النظرة العالمية لمشكلة الشرق الأوسط، بالنسبة لنا هذه مشكلتنا؛ هذه مشكلة إقليمية، لكن بالنسبة للروس كانت مشكلة عالمية، وكانت واحدة من مشاكل أخرى مع الأمريكيين.

بل ربما كانت المشكلة رقم أربعة أو خمسة في قائمة مشاكلهم مع الأمريكيين.

اجتماع القمة في موسكو بين الرئيس نيكسون والقادة الروس، في مايو سنة ١٩٧٢، كان نقطة مهمة بالنسبة لي في اتخاذ قرار طرد الخبراء الروس، لأنني بعد الاجتماع اكتشفت أن الخلاف بيننا عميق جدا ولا بد من التوقف ومراجعة كل شيء.

... أنا قابلت الروس مرتين في سنة ١٩٧١، في بداية السنة ثم نهايتها. في الاجتماع الأخير توصلت إلى اتفاق معين على أن ينفذ

قبل نهاية نفس السنة، لكن ذلك لم يحدث.
لهذا كنت أقول في خطبى خلال تلك السنة أنها ستكون سنة
الحرب أو السلام أى سنة اتخاذ القرار الحاسم .
لهذا، ومع بداية سنة ١٩٧٢، وعدم تنفيذ الروس للاتفاقية
معهم، كان يجب أن أحسم الموضوع، لكننى كما قلت قررت انتظار
مؤتمر القمة الأمريكية - الروسية فى موسكو.
قلت إن الروس أصدقائى وأن العلاقات بين البلدين قوية
وتاريخية، لكنهم خيبوا أملى فيهم.
ويجب ألا يعتقد أحد أننى قررت ما قررت بسبب الضغط على
من جانب القوات المسلحة المصرية.
هذا لم يحدث، وهناك شائعات كثيرة عن أسباب أخرى، لكنها
كلها كانت شائعات.

● من: قسم المصالح الأمريكية - الخرطوم
إلى: وزير الخارجية - واشنطن (نسخة إلى قسم المصالح
الأمريكية فى القاهرة)
الموضوع: نميرى يتساءل
التاريخ: ١٩٧٢/٧/١٩

الرئيس النميرى استدعانى ظهر اليوم ليسال عن رأينا فى
قرار السادات بطرد الخبراء العسكريين الروس، وقال النميرى
هناك نظرتان:

الأولى: وجود اتفاقية سرية بين أمريكا ومصر بطرد الروس،
مقابل تحسين العلاقة بين أمريكا ومصر.
الثانية: السادات يريد إعلان الحرب على إسرائيل، لهذا فإن

طرد الخبراء العسكريين الروس يحرم إسرائيل من القول إن الروس يحاربونها.

وقال النميري إن التفسير الأخير غير ممكن لأن السادات يعتمد على الأسلحة الروسية في الحرب ضد إسرائيل، وأنا قلت إن وزارة الخارجية لم ترسل لنا أى تفاصيل وأنها أعلنت أن ما حدث شأن مصرى داخلى.. ثم انضم إلى اجتماعى مع الرئيس نميري وزير الخارجية منصور خالد، الذى جاء مباشرة من المطار قادما من أثيوبيا. وقال الاثنان إنهما يعتقدان أن طرد السادات للخبراء الروس سيوجد فرصة مناسبة للحكومة الأمريكية وللشعب الأمريكى ليقفلا من تأييد إسرائيل.

ونميري كان متحمسا جدا لما فعل السادات، وقال إن قراره فى السنة الماضية بالقطيعة مع الروس، بعد محاولة الانقلاب الشيوعى ضده، فتح المجال أمام الدول الأخرى لتفعل نفس الشيء، وربما شجع السادات ليفعل ما فعل..

● من: وزير الخارجية - واشنطن

إلى: قسم المصالح الأمريكية - القاهرة

الموضوع: ذكرى ثورة يوليو

التاريخ: ١٩٧٢/٧/٢٦

الرجاء نقل هذه الرسالة من الرئيس نيكسون إلى الرئيس السادات:

بينما تحتفل الثورة المصرية بعامها العشرين يوم ٢٢ يوليو يسرنى باسم الولايات المتحدة أن أقدم التهنئة، مع تمنيات الطيبة، لكم وللشعب المصرى.

وأنا أتمنى أن تتمتع مصر بالرخاء والسعادة تحت قيادتكم.

التوقيع: ريتشارد نيكسون

الرجاء ملاحظة أننا لن نعلن هذا الخطاب للإعلام، لكن إذا قرر

المصريون نشر الخطاب قلن نعرض على ذلك.

● من: قسم المصالح الأمريكية - القاهرة

إلى: وزير الخارجية - واشنطن

الموضوع: خطاب السادات

التاريخ: ١٩٧٢/٧/٢٥

ألقى الرئيس السادات خطاباً بمناسبة ذكرى ثورة يوليو استمر

لأكثر من أربع ساعات، وغطى الخطاب كل المواضيع الداخلية

والخارجية، وتحدث عن إنجازات الثورة المصرية وعن علاقة

مصر بالدول الكبرى.

وعن المشكلة مع إسرائيل، قال السادات إنه يرفض أية

مفاوضات مباشرة مع إسرائيل لأنها ستكون «استسلاماً» وكرر

دعوته لتحرير الأراضي المصرية المحتلة «شبرا شبرا».

وكرر هجومه على أمريكا، وقال إن كل تاريخ سنوات التعامل

معها ليس إلا وعداً كاذباً وأنها لا تبدو جادة في حل المشكلة

العربية - الإسرائيلية وأنها تنحاز إلى جانب إسرائيل مائة في

المائة.

وتحدث السادات عن «خلافات» مع روسيا في طريقة حل

المشكلة العربية - الإسرائيلية، لكنه لم يهاجم روسيا بشدة، بل

فعل مع أمريكا.

● من: قسم المصالح الأمريكية - القاهرة

إلى: وزير الخارجية - واشنطن

التاريخ: ١٩٧٣/١/٣

قال لنا مصدر موثوق به وعنده اتصالات مع كبار المسؤولين في وزارة الداخلية المصرية إن الوزارة تسلمت أمس التقارير الآتية عن مظاهرات الطلاب:

أولاً: في جامعة أسيوط: تظاهر الطلاب في الثامنة مساءً في الحرم الجامعي واعتقلت الشرطة ٦٨ طالباً.

ثانياً: في جامعة عين شمس: وزعت منشورات خارج الحرم الجامعي واعتقلت الشرطة أربعين من طلاب الجامعة.

ثالثاً: في جامعة الإسكندرية: قال الطلاب إنهم سيبدأون إضراباً عن الطعام حتى تستجاب طلباتهم.

رابعاً: في جامعة القاهرة: اليوم، عند منتصف النهار تسلمت وزارة الداخلية معلومات ثلاثة آلاف وخمسمائة طالب تجمعوا للقيام بمظاهرة خارج الحرم الجامعي.

● من: جوزيف سيسكو، مسئول الشرق الأدنى

إلى: وليام روجرز - وزير الخارجية

التاريخ: ١٩٧٣/١/٣

خلال الأسبوع الماضي شهدت مصر سلسلة مظاهرات قام بها الطلاب وظلت سلمية، حتى الآن.

وهذا تحليل عنها من زاوية تأثيرها في وضع الرئيس السادات:

هناك عملية بطيئة ومؤكدة تجري الآن في مصر، بقيادة

السادات، وهي محاولة تحرير الوضع السياسي بإعطاء بعض الحرية للمعارضة وفي الحقيقة طلاب الجامعات الذين تظاهروا استنفادوا من هذا الانفتاح السياسي بإعطاء بعض الحرية للمعارضة.

وحسب التقارير التي وصلتنا، هدد بعض الطلاب باستمرار المظاهرات حتى تحقيق ثلاثة شروط هي:
أولاً: إطلاق سراح الذين اعتقلوا.

ثانياً: احترام حقوق المواطنين السياسية.

ثالثاً: تقديم أدلة بأن الاستعداد للحرب ضد إسرائيل يجري حقيقة وليس مجرد كلام.

وحتى الآن يبدو لنا أن النظام يريد المحافظة على أعصابه ويحاول مواجهة الوضع بخليط من الحزم وروح المصالحة.

● من: السفارة الأمريكية - بيروت

إلى: وزير الخارجية - واشنطن

التاريخ: ١٩٧٣/١/٨

نشرت جريدة «البيرق» اليوم مقابلة أجراها صاحبها، ملحم كرم، مع الرئيس السادات، وهذه أهم النقاط فيها:

أولاً: قال السادات إن مظاهرات الطلاب المصريين يقف وراءها «اليسار المغامر»، وأن هناك فقط، سبعين طالباً مشاكساً وسط ربع مليون طالب جامعي في مصر، وأن الطلاب استغلوا الحرية السياسية التي سمحوا بها.

ثانياً: اعترف أن هناك شائعات كثيرة عن «سنة الحسم» (موعد إعلان الحرب ضد إسرائيل، التي ظل السادات يؤجلها سنة

بعد أخرى). وقال ضاحكا: «هناك نكات أيضا»، ودعا إلى «الصبر والكتمان»، وقال: نحن لا نتحرك في فراغ، نحن نعرف كيف نحسب كل خطوة، وفي بعد نظر.

رابعا: قال إنه فقد كل الأمل في أمريكا وأنه ما عاد يتوقع منها حلا سلميا.

وانتقد الدول العربية لأنها لا تهدد المصالح الأمريكية في المنطقة بل، بالعكس، تعمل على ازدهار هذه المصالح.

● من: وزير الخارجية - واشنطن

إلى: قسم المصالح الأمريكية - القاهرة

الموضوع: ذكرى ثورة يوليو

التاريخ: ١٩٧٣/١/١٠

الرجاء نقل هذه الرسالة إلى رئاسة الجمهورية في الوقت المناسب: عزيزي الرئيس السادات:

يسرني أن أقدم لكم تمنياتي وتهاني الشخصية بمناسبة عيد الأضحى المبارك.

المخلص: ريتشارد نيكسون

الرجاء ملاحظة أن البيت الأبيض لا ينوي إعلان هذه التهنئة للصحفيين، لكنه لا يعارض إذا أعلنها المصريون.

(هذه التهنئة «السرية» الثالثة من الرئيس نيكسون إلى الرئيس السادات. الأولى كانت بمناسبة العيد العشرين لثورة يوليو، والثانية بمناسبة عيد الفطر. وفي كل مرة ترسل التهنئة سرا، ربما خوفا من إخراج السادات، وخوفا من اليساريين ومؤيدي روسيا الذين قد يعارضون هذه المبادرات الأمريكية السرية).

• من: قسم المصالح الأمريكية - القاهرة

إلى: وزير الخارجية - واشنطن

التاريخ: ١٩٧٣/١/٢٢

قالت لنا مصادر ممتازة إن حوالي أربعين من الكتّاب المصريين أرسلوا في الأسبوع الماضي مذكرة إلى الرئيس السادات عن التطورات الأخيرة، وأهم ما جاء فيها أن مظاهرات الطلاب ليست فعل أقلية مشاغبة، لكنها تعبير عن تذمر كل قطاعات الشعب المصري.

ومن الذين وقعوا على المذكرة: توفيق الحكيم «عميد الكتّاب المصريين» وصديق محمد حسنين هيكل، لويس عوض، المثقف والكاتب القبطي لطفى الخولي «اليساري» الذي كان شيوعياً، يوسف السباعي «رئيس مجلس إدارة دار الهلال ورئيس منظمة تضامن الشعوب الإفريقية والآسيوية».

وفي رأينا أن المذكرة نادرة في نوعها، لأن الذين وقعوا عليها ينتمون إلى كل التيارات الفكرية والفلسفية، ولأن بعضهم من أكثر الأدباء والكتّاب احتراماً في مصر.

• من السادات إلى نيكسون

التاريخ: ١٩٧٣/٢/١٨

عزيزي الرئيس نيكسون:

وصلتنا الدعوة من حكومة الولايات المتحدة إلى محمد حافظ إسماعيل لزيارة واشنطن، لتبادل وجهات النظر حول المواضيع التي تهم بلدنا.

وأنا أرى أن هذه الدعوة دليل على اهتمام الولايات المتحدة

الخاص بمشكلة الشرق الأوسط وأنا لاحظت تصريجاتكم عن قلقكم وعن عزمكم على تحقيق سلام كامل وعادل في منطقتنا. وأنا أمرت إسماعيل بأن يسافر إلى واشنطن بناء على دعوة حكومتكم، على أمل أن تبذل حكومة الولايات المتحدة كل إمكاناتها للدفاع عن الحرية والاستقلال والحقوق الشرعية للشعوب لتحقيق مصيرها.

● من نيكسون إلى السادات:

عزيزي السيد الرئيس:

أود أن أشكركم على خطابكم بتاريخ ١٨/٢/١٩٧٣ الذي سلمه لي إسماعيل، خلال زيارته الأخيرة إلى هنا، لقد سعدت باستقبال إسماعيل شخصياً وبتبادل وجهات النظر معه تبادلاً كاملاً وصريحاً.

هذه الزيارة ساهمت في فهم أكثر لآراء حكومتكم، وأنا أتمنى أن تكون قد حققت نفس الشيء بالنسبة لفهمكم لآراء حكومتنا. زوجتي تشاركني في التعبير عن شكرها لهدايا النحاس الراقية والنسيج المصري التي أرسلتموها بواسطة إسماعيل، وستكون هذه الهدايا تذكراً قيماً.

المخلص: ريتشارد نيكسون

● من: السفارة الأمريكية - بيروت

إلى: وزير الخارجية - واشنطن

التاريخ: ١٩٧٣/٢/٨

فؤاد مطر مراسل جريدة «النهار» المستقلة نشر اليوم تقريراً عن «الثورة الثقافية» في مصر، وذلك في إشارة إلى تطهير

تسعين يساريا ومغامراء من الاتحاد الاشتراكي العربي، ومن بين الذين طردوا: لطفى الخولي، لويس عوض، يوسف إدريس .
أن هناك قائمة أخرى ستعلن، وأن الرئيس الليبي القذافي يؤيد تخلص الرئيس السادات من هؤلاء اليساريين، لكن محمد حسنين هيكل كان يؤيدهم، وخاصة الكتاب الذين كانوا يكتبون في «الأهرام»، وقال إن القذافي وهيكل اجتمعا قبل يومين، ويقال إن القذافي أقنع هيكل ألا يحتج عندما يعزل السادات هؤلاء اليساريين.

● البيت الأبيض: مذكرة إلى هنري كيسنجر - مستشار الرئيس للأمن القومي

الموضوع: خطاب السادات

التاريخ: ٢٨/٣/١٩٧٣

يبدو أن الرئيس السادات في خطابه قبل يومين إلى الشعب المصري، تعدد الإثارة لمواجهة الوضع المل والقائم في مصر، قال إنه سيكون أيضا رئيسا للوزراء، وذلك استعدادا لمواجهة شاملة، مع إسرائيل. وكالعادة، علينا أن ننتظر لنرى إذا كان هذا سيحدث، لكننا نعتقد أن لا جديد في الموضوع لأن السادات لم يحدد تاريخا للحرب، بل ركز على تعبئة الجبهة الداخلية وعلى استمرار الجهود السياسية.

وكالعادة هاجم السادات أمريكا هجوما شديدا، وكرر شكوكه في نياتها وقال إن خير إرسال أسلحة أمريكية جديدة إلى إسرائيل سرب عمدا كجزء من حرب نفسية لتدعيم اليأس العربي. لكن السادات أشار إلى نقطة «إيجابية» عندما قال إن الرئيس

نيكسون قال لبعوثه حافظ إسماعيل: إن المشكلة هي موازنة سيادة مصر على سيناء مع حاجة إسرائيل إلى الأمن. وقال السادات إنه لا بد من عودة السيادة المصرية إلى كل سيناء، وأن ذلك لا بد أن يشمل شرم الشيخ.

● البيت الأبيض: مذكرة إلى هنري كيسنجر - مستشار الرئيس للأمن القومي

التاريخ: ١٩٧٣/٤/٣

نشرت مجلة «نيوزويك» في مقابلة أجراها دي بورشجراف مع الرئيس السادات بعض المعلومات الخاطئة عما قلت أنت لمستشار السادات - إسماعيل - عندما قابلك هنا، بالإضافة إلى أن جريدة «الأهرام» نشرت ترجمة لمقابلة مجلة «نيوزويك» ولكن فيها إضافات، مثل قول السادات إنه قدم للأمريكيين أربعة أسئلة وأنهم أجابوا عنها إجابات أقنعت السادات، وأن هذا كان شرطاً قبل إرسال المستشار إسماعيل إلى واشنطن.

نحن لا نرى أن هناك سبباً للدخول في مناقشة علنية أو سرية، مع السادات عما قال لنا وما قلنا له. هذا سيعقد الحوار الأمريكي - المصري الذي بدأ مؤخراً، والذي لا بد أن يستمر، لكن لا بد من توضيح الموضوع للإسرائيليين، لأنهم سألوا سفيرنا في القاهرة عن هذه النقاط الأربع التي أشار إليها السادات، وهي عن العلاقات الأمريكية - الإسرائيلية.

● من: وزارة الخارجية - واشنطن
إلى: قسم المصالح الأمريكية - القاهرة
التاريخ: ١٩٧٣/٤/٧

نحن لا نريد الدخول في نقاش علني، أو سري، مع الرئيس السادات حول ما جاء في مقابله مع مجلة «نيوزويك» لهذا نرسل لكم ما يقول المتحدث الصحفي باسم الوزارة، عندما يسأله الصحفيون وهو كالآتي:

«نحن لم نعلق على ما قال الرئيس السادات علنا مؤخرًا، نحن على أي حال نركز على تبادل جدى للآراء، والجانبان يريان أن زيارة المستشار إسماعيل لواشنطن كانت مفيدة جدًا، ملاحظة: نفضل ألا تعلقوا على هذا الموضوع علنا في مصر، لكن يمكنكم استعمال التعليق أعلاه في المحادثات الخاصة.

● وزارة الخارجية - واشنطن - مذكرة حديث

المشركون: أنا تولى كوروليف «الملحق العسكري الروسي في واشنطن»، ونورمان أندرسون «مسئول الشؤون المصرية في الوزارة»

التاريخ: ١٩٧٣/٤/٦

جاء كوروليف إلى مكتبي وسأل عما قاله الرئيس السادات لمجلة «نيوزويك» عن حتمية «مواجهة كاملة»، مع إسرائيل، وأنا قلت له أي شخص عقلاني لا يغفل ذلك، لكن السادات يمكن أن يفعل أي شيء.

وأنا سألت كوروليف إذا كان يتوقع أن يعلن السادات الحرب على إسرائيل، وهو قال إنه لا يتوقع أن يحدث ذلك قريبًا، وقال إن الرئيس السوفيتي بريجنيف سيزور أمريكا في يونيو ولا يمكن أن يعلن السادات الحرب قبيل أو خلال الزيارة. وقال إن روسيا لا تسيطر على قرار السادات بإعلان الحرب أو عدم إعلانها.

ونفى أن تكون روسيا أرسلت مؤخرا إلى مصر صواريخ متطورة.

● من: قسم المصالح الأمريكية - القاهرة
إلى: وزير الخارجية - واشنطن
التاريخ: ١٩٧٣/٤/٦

قابلت قبل يومين كمال أدهم «مستشار الملك فيصل» بحضور السفير السعودي في مصر، «ناظر» وتحدث أدهم عن زيارة مستشار الرئيس السادات - حافظ إسماعيل - إلى واشنطن، وقال إن السادات ارتاح لاجتماع إسماعيل مع الرئيس نيكسون.

وقال إن كيسنجر سأل إسماعيل إذا كانت مصر ستقبل إسرائيل كدولة مستقلة، وأن إسماعيل أجاب أن مصر تقبل قرار مجلس الأمن رقم «٢٤٢» وبالتالي تقبل ذلك.

واشتكى إسماعيل من أن اقتراح نزع سلاح سيناء، كشرط لانسحاب إسرائيل، معناه أن إسرائيل ستقدر على احتلال سيناء مرة أخرى. وأجاب كيسنجر أن هذه هي الطريقة الوحيدة لانسحاب إسرائيل..

وقال أدهم: إن كلام كيسنجر هذا أغضب إسماعيل، وهو العسكري الذي لا يقبل الهزيمة

كما قال أدهم: إن السادات، رغم هذا حريص على استمرار الاتصالات مع أمريكا...



أزمة كيسنجر

حرب أكتوبر

وعملية السلام

في الشرق الأوسط

الطريق إلى كامب ديفيد

■ قال كيسنجر: إن الرئيس السادات يرفض تماما أن تنسحب القوات المصرية من أراض استردها في الحرب.. وسوف ابلغ الإسرائيليين بهذا الموقف كما أكدت للرئيس السادات بانني شخصا لا أقبل هذا الطلب الإسرائيلي لأنها أرض مصرية في المقام الأول ■

كشفت البيت الأبيض عن الوثائق السرية لسنوات الرئيس الأسبق ريتشارد نيكسون (من سنة ١٩٦٨ إلى سنة ١٩٧٤)، ومن بينها الوثائق السرية لهنري كيسنجر، الذي كان مستشاراً للأمن القومي، ثم وزيراً للخارجية. ومن بين هذه الوثائق، محاضرات اجتماعات كيسنجر مع الحكام العرب والإسرائيليين خلال الجولات المكوكية التي قام بها سنة ١٩٧٤، السنة التي تلت حرب أكتوبر - حرب رمضان - بين العرب وإسرائيل، عندما عبرت القوات المصرية قناة السويس شرقاً، وحررت جزءاً من سيناء (التي كانت إسرائيل احتلتها في حرب سنة ١٩٦٧). وفي نفس الوقت تقدمت القوات السورية جنوباً، في مرتفعات الجولان (التي احتلتها إسرائيل أيضاً في حرب سنة ١٩٦٧). لكن إسرائيل استنجدت بأمريكا، وأمر الرئيس نيكسون بإرسال إمدادات سريعة لكميات كبيرة من الأسلحة، مما ساعد القوات الإسرائيلية على وقف تقدم القوات السورية ثم احتلال جزء أكبر من الجولان.

كما ساعدت القوات الإسرائيلية على عبور قناة السويس غربا فيما سمي «ثغرة الدفرسوار».

وبعد وقف إطلاق النار، بدأ كيسنجر جولات مكوكية لفك اشتباك القوات المصرية والإسرائيلية في قناة السويس، وأيضا فك اشتباك القوات السورية والإسرائيلية في الجولان.

وفيما يلي مقتطفات من محاضر اجتماعات هنري كيسنجر مع جولدا مائير «رئيسة وزراء إسرائيل»:

«سرى جداء للاطلاع فقط.

مذكرة الحديث.

المشترون: الجانب الإسرائيلي: رئيسة الوزراء جولدا مائير، السفير الإسرائيلي في واشنطن، سمحا دينتز، الجانب الأمريكي: وزير الخارجية د. هنري كيسنجر وعضو مجلس الأمن القومي، بيتر ريمان.

التاريخ: السبت ١٢/١/١٩٧٤

الوقت: ٨،١٥ - ٩ مساء

المكان: منزل رئيسة الوزراء - القدس

المحضر

- كيسنجر: كيف حالك؟ تبدين أحسن صحة مما توقعت (كانت مريضة).

- رئيسة الوزراء: حتى أمس كان الألم شديدا جدا، لم أكن قادرة على الجلوس، كنت أحس بالراحة فقط أفقيا، عندما أرقد على ظهري، كيف حال السادات؟

- كيسنجر: هو أيضا مريض، أصيب بالأنفلونزا. حتى الآن

قابلت كل الحكام العرب، واعتقد أن السادات أسهلهم في التفاوض.

- رئيسة الوزراء: هل هذا صحيح؟ نحن لم نضع له أهمية كبيرة.

- كيسنجر: السادات قال لي رايه في الروس، ربما كذب على، لكنه أمر بإلغاء زيارة

- رئيسة الوزراء: تقصد إلغاء زيارة وزير الخارجية، فهمى إلى موسكو؟

- كيسنجر: نعم، نحن نتسلم تقارير من وكالات استخباراتنا عن السادات وعن رأى زملائه العرب فيه، زملاؤه الحكام العرب يقولون إنه يريد انسحاب القوات الإسرائيلية من قناة السويس، ثم انسحاباً من صحراء سيناء، ثم تحويل سيناء إلى منطقة منزوعة السلاح. وهكذا يكون إخراج مصر من مسلسل الحرب مع إسرائيل، ويكون وجد عذرا لعدم دخول مصر في حرب أخرى معها.

- رئيسة الوزراء: سمعت أن القذافي (الرئيس الليبي) وبورقيبة (الرئيس التونسي) يريدان قيام وحدة بين بلديهما.

- كيسنجر: أنا أتحدث مع السادات عن الوضع الحالي داخل إسرائيل، وأرجو أن تغفري لي، تحدثت له عن الحزب القومي الدينى ، وعن موقف الحزب المتطرف من الموضوع الفلسطيني، وعن الوضع الصعب الذى أنت فيه، بأنك لا تقدرين الآن على تقديم أى اقتراح عن الفلسطينيين. وأنا قلت للسادات: «لا تفضب الإسرائيليين». والسادات قال: «هذا صحيح» وقال إنه لن يتحدث

عن أي موضوع آخر (يقصد الموضوع الفلسطيني) خلال سنة ١٩٧٤. وأنا اشتكرت عليه قبل أن أتى إلى هنا، ألا يشير أي موضوع غير موضوع فك اشتباك القوات الإسرائيلية والمصرية، وهو وافق.

- رئيسة الوزراء: هيك (نقصد محمد حسنين هيكل، الذي كان رئيسا لتحرير جريدة «الأهرام»، وكان مستشارا للرئيس السادات) قال إن مصر لم تكن قادرة على التفاوض لولا الحرب التي أعلنتها.

- كيسنجر: نعم، قال ذلك.

- رئيسة الوزراء: هيك عارض كل شيء. قال إنه مثل اتفاقية مؤقتة.

- كيسنجر: هيك في وضع حرج، والعرب يعتقدون أنه أخطأ.

- رئيسة الوزراء: المصريون حتى وقت قريب، لم ينظروا إلى أنفسهم كعرب، وعندما تأسست جامعة الدول العربية، (سنة ١٩٤٥) لم يكونوا يريدون الانضمام إليها، لكن أنطوني إيدن (الدبلوماسي البريطاني الذي أصبح رئيسا للوزراء، بعد ذلك بعشر سنوات) ضغط عليهم حتى انضموا.

- كيسنجر: أنا أتحدث مع الرئيس السوري حافظ الأسد، لكنه لم يقدر على التحايل (يقصد إصرار الأسد على حل المشكلة الفلسطينية، وحديثه الكثير والطويل عن الموضوع الفلسطيني)، لكن السادات يتحدث لعشر دقائق فقط عن فلسطين، حتى يقدر أن يقول للآخرين إنه ناقش الموضوع. السادات لا يتحمس

للموضوع الفلسطيني، مثل بقية الحكام العرب، لكن الرئيس السابق جمال عبدالناصر كان مختلفا عن السادات.

- رئيسة الوزراء: هذا صحيح.

- كيسنجر: السادات طلب منا اليوم مساعدات لحفر قناة جديدة إلى الشرق من قناة السويس لاستعمال ناقلات البترول العملاقة.

- السفير ديفيز: سمعنا أنه يريد حفر قناة إلى الغرب من قناة السويس.

- كيسنجر: السادات يريد توسيع قناة السويس الحالية لتكون لاتجاه واحد، والقناة الثانية التي يريد حفرها ستكون لاتجاهين. السادات طلب مساعدة أمريكية، وأنا قلت له: «أطلب المساعدات من العرب الذين عندهم المال» وهو قال «أنا أريد علاقة مع الغرب لموازاة علاقتي مع العرب».

أعتقد أنه يريد نصف التكليف من السعوديين والنصف الآخر من الأمريكيين، ونحن من جانبنا سنقدم له كل دعم يريده، لكننا لم ندرس تفاصيل الموضوع، وأنا أعتقد أن إعادة فتح قناة السويس وتحويل سيناء إلى منطقة منزوعة السلاح، معناها أن السادات لن يقدر على إعلان الحرب على إسرائيل مرة أخرى.

- رئيسة الوزراء: دالاس أخطأ كثيرا في موضوع سد أسوان (تقصّد جون فوستر دالاس، وزير الخارجية الأمريكية، الذي رفض مساعدة مصر في بناء السد العالي) بعد سنوات من الثورة المصرية سنة ١٩٥٢. ماذا قال السادات عن موضوع فك اشتباك القوات الإسرائيلية والمصرية في قناة السويس؟

- كيسنجر: لم نتحدث عن هذا الموضوع. أنا قصدت أن أثير خوف المصريين بأن أقول لهم إن الوضع الإسرائيلي غير مستقر (أي أن إسرائيل ربما لن تقدر على فك اشتباك القوات).
- هذا صحيح.

- كيسنجر: أنا قلت للسادات إنك تريدان الانتظار قليلا، قبل التفاوض حول فك الاشتباك.. وهذا جعله يقلق، وجعله يقول إنه أمام خيارين: فك اشتباك القوات أو مواصلة الهجوم العنيف على إسرائيل.. والسادات يريد حلا سريعا، ويريدون قبل أن أعود إلى أمريكا، وأنا قلت له:

- «إذا كنت تريد حلا سريعا، لن تحصل على كل مطالبك»، وهو وافق على السماح للسفن الإسرائيلية أن تستعمل مضائق تيران (في خليج العقبة) وباب المندب (في جنوب البحر الأحمر)..

- رئيسة الوزراء: نحن لا نحتاج لموافقة استعمال مضيق تيران لأننا لن ننسحب من شرم الشيخ.

- كيسنجر: استخباراتنا تقول إن السادات يواجه مشاكل من اليساريين المصريين والدول العربية المتطرفة (مثل سوريا والعراق وليبيا)... السادات عنده مشاكل كثيرة.

- رئيسة الوزراء: السادات يعرف كيف يتخلص من الذين يختلفون معه.

- كيسنجر: لكن السادات حقيقة يواجه مشاكل كثيرة، الرئيس الجزائري بومدين قال إن عواطفه مع سوريا، لكن عقله مع مصر (أي أن مصر هي حجر الأساس في الصراع مع إسرائيل).

- رئيسة الوزراء: ليس هناك خطر على الأسد، سيبقى في الحكم.

- كيسنجر: أعتقد أنه من الأفضل بالنسبة لك بداية الاتصال مع السوريين، بداية بقائمة أسرى الحرب، وجمع شمل العائلات.. هذه العملية ستستغرق ما بين شهرين أو خمسة أشهر.

- رئيسة الوزراء: السوريون رديئون والتعامل معهم صعب..
- كيسنجر: أنا أفضل التعامل مع السوريين، وأمل ألا يتهمونى بأنى أخونهم.. والسادات قال لى إن السوريين يجب أن يتعاونوا مع جمعية الصليب الأحمر الدولية ويقدموا قوائم بالأسماء. والسادات أقسم لى أنه كتب خطابا للأسد عن هذا الموضوع.

- رئيسة الوزراء: ليس سهلا التعامل مع الأسد.

- كيسنجر: الأسد أسوأ من السادات فى التعامل معه، لكن السادات فى الجانب الآخر، يقول إن عبدالحليم خدام «وزير خارجية سوريا هو الأسوأ، وأنه لثيم، وأنه جاسوس للروس، كما أن الأسد لا يقدر على اتخاذ قرار بمفرده من غير مشورة حزب البعث السورى. وفى الجانب الآخر يقول السادات إن حزب البعث السورى فيه جواسيس روس، وجواسيس عراقيين.

- رئيسة الوزراء: نعم، حزب البعث السورى فيه جواسيس...

- كيسنجر: السادات يريد حل مشكلة وجود القوات الإسرائيلية غرب قناة السويس فى أسرع وقت ممكن، ويريد قبل عودتى إلى واشنطن، توقيع اتفاقية فك الاشتباك الكيلومتر رقم ١٠١ (فى الطريق إلى القاهرة).

- رئيسة الوزراء: لكن هناك أشياء لا أقدر على تنفيذها، هناك قوات مصرية كثيرة شرق قناة السويس، وهناك صواريخ «سام» الروسية التي تحمي المصريين.

- السفير ديفتز: نحن أجرينا مفاوضات ناجحة في البنتاجون، مع وزير الدفاع الأمريكي شلسنجر. وهذه المرة المفاوضات كانت أحسن من مفاوضات المرة السابقة، وكان الوزير شلسنجر إيجابيا، وقال إنه سينظر في طلباتنا بروح إيجابية، والمسؤولون في البنتاجون قالوا لنا «سنلبى طلبكم، لا تحرضوا علينا كيسنجر». (كيسنجر ضحك، وضحك معه الآخرون).

- رئيسة الوزراء: الوزير شلسنجر رفض في البداية إرسال مزيد من الأسلحة لنا، لكننا في النهاية نجحنا في الحصول عليها، وفي نقلها إلى إسرائيل بطائراتنا.

- كيسنجر: هذا غياب من جانبهم ألا يعطوكم الأسلحة، حتى إذا كانوا يؤيدون العرب ضدكم، أفضل لهم أن يعطوكم الأسلحة في الوقت الحالي، لأن هناك مفاوضات وتحركات، هذا أفضل من أن يعطوكم الأسلحة في المستقبل، عندما بهذا الوضع.

- السفير ديفتز: المشكلة ليست الوزير شلسنجر، المشكلة هي ناشيه.

- كيسنجر: هذا صحيح.

- السفير ديفتز: هل تعرف أن شلسنجر يهودي؟

- كيسنجر: هل هذا صحيح؟

- السفير ديفتز: ولد يهوديا، لكنه اعتنق المسيحية عندما تزوج مسيحية.

- كيسنجر: شلسنجر يهودي، هذا خطرا.
(انتهى الاجتماع في الساعة الثامنة وخمسين دقيقة، وبعدها وحتى الساعة التاسعة تفاوض كيسنجر ورئيسة الوزراء منفردين).

يبدو أن هناك طريقتين للتعامل مع الإسرائيليين: القوة أو المفاوضات السلمية، لكن كثيرين ممن تفاوضوا مع الإسرائيليين اشتكوا من مناوراتهم ومماطلاتهم ومماحكاتهم ومراوغتهم ومداهناتهم.
لقد اشتكى من ذلك المصريون، الأردنيون، والآن يشكو من ذلك الفلسطينيون.

حتى هنري كيسنجر «وزير خارجية أمريكا الأسبق» اشتكى من ذلك، كما توضح وثائق البيت الأبيض السرية التي كشفت في واشنطن.

الوثائق تغطي فترة ما قبل ثلاثين سنة، عندما قام كيسنجر بجولات مكوكية في الشرق الأوسط، بعد حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣، وكان الهدف هو فك اشتباك القوات المصرية والإسرائيلية في قناة السويس، والقوات السورية والإسرائيلية في مرتفعات الجولان.

في ذلك الوقت، وحتى الآن كان كيسنجر ولا يزال متحازا إلى جانب إسرائيل، فكيسنجر «اليهودي» لا ينفي تأييده لإسرائيل.
لكن وثائق البيت الأبيض السرية توضح أن كيسنجر نفسه لاحظ هذه المناورات، المماطلات، المماحكات، المراوغات والمداهنات،

يل اشتكى منها خلال اجتماعه مع الرئيس المصري أنور السادات،
يل ودافع عن الجانب المصري في بعض النقاط، حتى بدت
المفاوضات وكأنها بين كيسنجر وإسرائيل لا بين مصر
وإسرائيل، وهنا مقتطفات من وقائع اجتماع بين كيسنجر
والسادات.

«البيت الأبيض»، واشنطن.

مذكرة حديث

سرى جدا، حساس، للإطلاع فقط.

المشركون:

في الجانب المصري أنور السادات «رئيس جمهورية مصر
العربية»، إسماعيل قهص «وزير الخارجية»، المشير محمد
عبدالحق الجمسي «القائد العام للقوات المصرية».

في الجانب الأمريكي هنري كيسنجر وزير الخارجية، السورث
بانكر السفير المتجول ورئيس الوفد الأمريكي لمفاوضات السلام
في جنيف جوزيف سيسكو مساعد وزير الخارجية للشرق
الأدنى، بيتر ردمان عضو مجلس الأمن القومي.

التاريخ: الإثنين ١٤ يناير ١٩٧٤.

الوقت من العاشرة والنصف صباحا إلى الثانية ظهرا.

المكان: منزل الرئيس أسوان، مصر.

من الساعة العاشرة والنصف صباحا إلى العاشرة وخمس
وأربعين دقيقة صباحا، اجتمع الوزير كيسنجر مع الرئيس
السادات منفردين، وناقشا الخريطة التي جعلها كيسنجر معه من
إسرائيل (عن فك اشتباك القوات المصرية والإسرائيلية في قناة

السويس)، بعدها انضم إلى الاجتماع بقية من أعضاء الوفدين.
- كيسنجر: عملنا أمس في إسرائيل طوال الليل لمواصلة جهودنا، سيسكو عمل حتى الرابعة صباحا، وأنا استيقظت في الساعة والنصف وواصلت ما كان يعمل من اتصالات ودراسات.
- السادات: الصحف قالت صباح اليوم أنكم اتفقتم مع الإسرائيليين على تشكيل لجنة عمل (هنا استدعى المصورون الصحفيين لالتقاط الصور).

- كيسنجر : اتفقتا على تشكيل لجان عمل .

أنا قلت للصحفيين إن خبرا مهما سيعلن الليلة، وقلت لهم إن الخطة التي ستعلن إما ستكون «خطة كيسنجر» أو «خطة سيسكو» (ضحك).

وزير الخارجية فهمي: كل شيء يعتمد على نجاح الخطة (ضحك)، وأنا قلت لـ سيسكو، إذا نجحت خطته، سنرسله إلى وادي الملوك ليحفظ، ويحفظ مثل الفراعنة (ضحك).

- كيسنجر: مَنْ الذي يريد تحنيط سيسكو والاحتفاظ به؟ (ضحك). أريد أن أنقل لكم ما قلت للرئيس قبل أن تنضموا للاجتماع.. قلت له: أنا هذه المرة كررت للإسرائيليين أن يقدموا خطة جادة وواضحة لانسحاب قواتهم، وأن يوافقوا على اللعب معنا وتقديم مقترحات، ثم تغييرها. في البداية قالوا إنهم سيسحبون قواتهم من الأراضي المصرية، شرط أن تحل محلها قوات تابعة للأمم المتحدة، لا قوات مصرية، أنا رفضت هذا الاقتراح.

ثم قالوا إنهم سيسحبون قواتهم، على أن تحل قوات الأمم

المتحدة في نصف المنطقة، والقوات المصرية في النصف الثاني، وأنا رفضت هذا الاقتراح أيضا، وقلت لهم إننى لا يمكن أن أقدمه للرئيس السادات، لأن هذه أرض مصرية.

ثم طلبوا منى، على أى حال أن أنقل الاقتراح للرئيس السادات، ثم أعود إليهم، رفضت وقلت إن هذه مضيعة للوقت. وأخيرا قدموا اقتراحا بأن تتمركز قوات الأمم المتحدة بين القوات الإسرائيلية والمصرية وقالوا إنهم جادون هذه المرة.

نقلت هذا للرئيس السادات وقلت له أنا أخلاقيا، لا أقبل أن تنسحب القوات المصرية من أراض مصرية استردها، وهى تابعة لها. وقلت له: أنا لست صاحب القرار، لكننى أخلاقيا، لا أقبل هذا الطلب. وقلت له: أنا ساعود إلى إسرائيل وأقول لهم إن الرئيس السادات رفض الانسحاب من أراض استردها، وهى أراض مصرية فى المقام الأول.

- السادات: أنا قلت للوزير كيسنجر أن يقول للإسرائيليين أنا ساوافق إذا تمركزت قوات الأمم المتحدة أمام الخط الأمامى للقوات المصرية (فى المنطقة التى تحتلها القوات الإسرائيلية).

- كيسنجر: أنا متأكد من أن الإسرائيليين لن يوافقوا على ذلك؟

- السادات: لن يوافقوا على الخط الأمامى لقواتنا؟

- كيسنجر: نعم، لن يوافقوا على ذلك، أنت طلبت، منى أناقش معهم فى هذه النقطة، لكننى متأكد أنهم لن يوافقوا عليها... وحتى إذا وافقوا، كانوا قالوا لى إنهم سيحتاجون إلى ثلاثة أشهر لإكمال الانسحاب، وأنا قلت لهم إن هذه الفترة طويلة، ثم قالوا إنهم

يحتاجون إلى شهرين، وأنا قلت لهم إن هذه الفترة طويلة أيضا، وسأرى في زيارتي القادمة ماذا سيفعلون...

- السادات: هذا صحيح؟

- كيسنجر: على أي حال أنا قدمت للرئيس السادات الخطة الإسرائيلية النهائية التي حصلت عليها منهم، بعد جهد كبير، وعذاب شديد، لا يصدق رغم أنني أعرف أن الرئيس السادات لن يقبلها.

- السادات: هذه خطة معقدة وتحتاج إلى تبسيط.

- كيسنجر: دعني أقول لك خطتهم، عندهم سبعة شروط رئيسية، لا بد من تنفيذها قبل أن ينسحبوا

أولا، تأكيد وقف إطلاق النار، وأنا قلت لهم هذا شرط سهل.

- السادات: نعم.

- كيسنجر: الشرط الثاني: فتح طريق باب المندب (جنوب البحر الأحمر) للسفن الإسرائيلية، وأنا قلت لهم إن هذا شرط سهل أيضا. الشرط الثالث: السماح للسفن الإسرائيلية باستعمال قناة السويس، عندما تنظف، وتفتح للملاحة مرة أخرى.

- السادات: هذا موضوع سياسي وليس عسكريا.

- كيسنجر: أنا أنقل لك ما قالوا فقط. الشرط الرابع: انسحاب

كل القوات والمتطوعين الأجانب من مصر (يقصدون القوات المغربية والجزائرية وغيرها، المتطوعين من دول عربية أخرى الذين وصلوا إلى مصر لدعمها في حرب ١٩٧٣ ضد إسرائيل).

- السادات: هذا اقتراح سخيف.

- كيسنجر: الشرط الخامس: تحديد أجهزة لمراقبة ومتابعة

تنفيذ الاتفاقية، وهذا شيء مفهوم، والشرط السادس أنا لا أفهمه جيدا، وهو عن عدم التدخل في رحلات الطائرات المدنية.

- سيسكو: يقصدون أن تسمح مصر بمرور الطائرات الإسرائيلية فوق أراضيها إلى الدول الإفريقية ومنها.

- كيسنجر: أعتقد أن هذا يخص مفاوضات السلام النهائية.

- السادات: إنهم يريدون رفع المقاطعة عنهم، هذا موضوع سياسي وليس عسكريا.

- السادات: (بعد تبادل الحديث مع أعضاء الوفد المصري):

هل يمكن تشكيل لجنة عمل من الجانبين لبحث هذه المواضيع؟

- كيسنجر: نعم، هذا ممكن، لكن أعتقد أن تشكيل اللجنة لا يكفي، ولا بد أن نحدد للإسرائيليين ما يجب أن تفعله اللجنة.

- السادات: هذا صحيح.

(في الساعة الثانية عشرة خرج الوزير كيسنجر والرئيس السادات للحديث معا منفردين، واستمر باقي أعضاء الوفدين في الحديث):

- وزير الخارجية فهمي: الإسرائيليون يريدون المعاملة بالمثل، لكن كيف المعاملة بالمثل بالنظر لدباباتهم ودبابتنا؟ هذا شيء غير منطقي نحن ندافع عن وطننا، ودباباتهم لا تدافع، دباباتهم في أرض مصرية...

- (لا يرد أحد من الجانب الأمريكي).

- الجمعي: الإسرائيليون يريدون الانسحاب قليلا ثم يفعلون ما يشاءون، وفي الوقت نفسه المطلوب منا أن ننسحب لمسافة بعيدة بشروط صعبة.

- فهمي: كيف يريدون منا أن نسحب قواتنا من الأراضي التي سيطرت عليها شرق قناة السويس وهي أرض مصرية؟
- سيسكو: أنا أفهم معارضتكم لبدأ المعاملة بالمثل.
- فهمي: هذه عملية سياسية لا عسكرية، الانسحاب من جزء من أراضينا شرطاً. إنهم يريدون ضمان سلامتهم وفي الوقت نفسه تهديد سلامتنا...
- الجسمسي: خط دباباتنا ومذابحنا مهم بالنسبة إلينا، لماذا يريدون تغييره؟
- سيسكو: قالوا إنهم سيفيرون خطهم؟ وقالوا إنهم سيقبلون أي تنازلات مثلاً.
- فهمي: هل لاحظت أنهم يغيرون رأيهم المعاملة بالمثل وأحياناً أخرى يرفضونها منطقة أمنية لهم؟ لكنهم يرفضونها لنا.
- (لا أحد يرد من الجانب الأمريكي) .
- الجسمسي: إنهم يريدون تخفيض قواتنا العسكرية في المنطقة التي سينسحبون منها، لتصبح من دون فعالية، بل لتصبح أضعف من قوات الشرطة بدلا من الاعتماد على قوات الشرطة في تلك المنطقة.
- (لا أحد يرد من الجانب الأمريكي) .
- الجسمسي: بالإضافة إلى ذلك، إنهم يريدون وضع قوات الأمم المتحدة في منطقتنا لا في منطقتهم...
- (لا أحد يرد من الجانب الأمريكي) .
- فهمي: هذا يوضح خطتهم الحقيقية، إنهم يريدون تغيير كل نتائج حرب أكتوبر، سياسيا وعسكريا، نحن عندنا شرطة خاصة

من النوبة لحماية حدودنا، هؤلاء أفضل لنا من القوات العسكرية المصرية القليلة التي يريدون أن تبقى في المنطقة التي سينسحبون منها.

- (لا يرد أحد من الجانب الأمريكي) .

- الجيمسى: هذه هي نفس الشروط التي نقلها لنا الجنرال ياريف.

- سيسكو: لكن هذه الشروط وافق عليها مجلس الوزراء الإسرائيلى.

- الجيمسى: مجلس الوزراء الإسرائيلى وافق على هذه الشروط؟

- سيسكو: نعم.

- الجيمسى: اعتقد أنهم قدموا هذه الشروط بهدف واحد، هو أن نرفضها...

- ردمان: الإسرائيليون لم يعطونا أرقاما عن عدد محدود للدبابات، فقط قالوا لنا إنه لا بد من المعاملة بالمثل.

- سيسكو: الإسرائيليون يريدون عددا مماثلا لقوات الجانبين.

- الجيمسى: أسمح لى وزير الخارجية بالحديث عن موضوع الأسرى المصريين. إنهم لا يريدون إرجاعهم لنا، إذا أرجعوهم، سيبرهنون على حسن نيتهم.

- سيسكو: أنا متأكد من أن الإسرائيليين سيعيدون الأسرى إذا وصلتم إلى اتفاقية معهم، لكنهم يشككون من أن القوات المصرية تطلق عليهم النار فى المنطقة التى يحتلونها، قالوا لنا: «قولوا للمصريين فى وضوح، نحن صابرون على إطلاق النار

علينا من القوات المصرية. لكننا لن نصير كثيرًا. قالوا إنكم تطلقون النار عليهم لأنهم يحصنون مواقعهم، لكنهم لا يطلقون النار عليكم وأنتم تحصنون مواقعكم. هذا ما قالوه لنا وواجبنا أن ننقل لكم ما قالوا.

- فهمي: هم قالوا لنا الكلام نفسه في اجتماعات جنييف.
- سيسكو: نعم، هم يقولون إنكم تحصنون مواقعكم، لذا يجب أن تسمحوا لهم أن يحصنوا مواقعهم.
- فهمي: لكنهم في أرض مصرية.
- سيسكو: يا إسماعيل، لا تقدر على استعمال هذا المنطق في كل مرة.

- الجسمي: أنا تعهدت للجنرال ياريف وأعطيته كلمة شرف، بأننا سنطلق سراح الجاسوسين الإسرائيليين: مزاحي وليفي... لكنهم حريصون على جاسوس واحد، هو دان أفيدان، الذي ظل معتقلاً لأربع سنوات، وأنا قلت لهم إننا لا نرفض ذلك، بل عندما ذهبنا لمفاوضتهم في الكيلو ١٠١ أخذت معي الجاسوس أفيدان، وكان قصدي أن أبرهن لهم حسن نيتنا.
- سيسكو: الإسرائيليون قالوا لنا إنهم لا يشتكون من الطريقة التي تعاملون بها جواسيسهم، لكنهم يشتكون من خرقكم لوقف إطلاق النار.

- الجسمي: نحن نقلنا للإسرائيليين أننا سنوقف إطلاق النار عليهم إذا أوقفوا بناء تحصينات عسكرية في الأراضي التي احتلوها، إنهم يريدون بناء «خط يارليف» ثانٍ (الأول بنوه شرق قناة السويس وهذا الثاني غرب القناة) هذا معناه أنهم يريدون البقاء إلى الأبد.

- سيسكو: لم أكن أعرف ذلك.
- فهمي: شيء آخر: هناك مرضى فى مدينة السويس يموتون لأن المستشفيات هناك غير كافية، والقوات الإسرائيلية تمنعهم من الانتقال إلى القاهرة أو غيرها، مرضانا يموتون، إذا حدث هذا لمرضاهم كانوا سيحتجون ويصيحون ويبيكون.
- الجمسى: وهناك المحتجون فى كبريت، مائة جندى تقريبا، قطعوا الإمدادات عنهم وطلبوا ترحيلهم..
- (لا يرد أحد من الجانب الأمريكى) .
- الجمسى: ورغم ذلك عاملنا أسرى الحرب الإسرائيليين معاملة طيبة، أخذنا بعضهم إلى القاهرة لزيارة عائلات يهودية ومعابد يهودية.
- سيسكو: أنا أتذكر منذ حرب سنة ١٩٦٧ أنكم لم تسيئوا معاملة اليهود المصريين.
- (فى الساعة الواحدة والنصف ظهرا عاد الوزير كيسنجر والرئيس السادات إلى قاعة الاجتماعات) .
- كيسنجر : الرئيس اتفقنا على الآتى: الخط الامامى للقوات الإسرائيلية لا يحمى إسرائيل، لهذا لا يمكن قبول انسحاب القوات المصرية من أراضى مصرية وأنا أقتنعت بهذه النقطة اقتناعا كاملا، وسأعود إلى إسرائيل وأقول لهم إن المصريين يجب ألا ينسحبوا.
- السادات: نعم، هذا صحيح.
- كيسنجر: لقد رفضنا الشرط الإسرائيلى عن سحب القوات غير المصرية والمتطوعين من مصر، وأيضا شرط السماح للسفن

الإسرائيلية باستعمال قناة السويس وشرط السماح للطائرات الإسرائيلية باستعمال المجال الجوي المصري.

أما عن شرط السماح للسفن الإسرائيلية باستعمال مضيق باب المندب، فسيكتب الرئيس خطاباً لى بهذا المعنى، يبقى شرط عدم سحب قوات الأمم المتحدة إلا بموافقة الجانبين، ما رأيكم؟

- السادات: هل يقصدون أن تبقى قوات الأمم المتحدة إلى أجل

غير مسمى؟

- كيسنجر: نعم.. وأنا قلت لهم، إنهم لا يقدرّون على وضع شرط دائم فى اتفاقية مؤقتة، على أى حال سأقول لهم إنكم رفضتم هذا الشرط، وقلت للرئيس السادات إن الولايات المتحدة لا تريد أن تضعه فى وضع حرج، ولا أن تضعف موقفه، وهو أكثر القادة العرب اعتدالا، والولايات المتحدة سعيدة بالتعامل معه....



أزمة كيسر

حرب أكتوبر

وعملية السلام

في الشرق الأوسط

القراءة في الضباب

■ كان السياسي الأمريكي العتيد يرى أنه من الحماسة أن تدخل مصر وسوريا حرباً يعلمان يقيناً أنهما ستعنيان بالهزيمة فيها ..

وقد اتضح بعد ذلك أن هذا السياسي الذي كان الجميع يشهدون له ببعد النظر قد فشل فشلاً ذريعاً في رؤيته المسبقة لحرب أكتوبر عام ١٩٧٣ . ■■

المثير بحق في هذا الكتاب هو اعتماده بشكل أساسي في سرد الوقائع الواردة به على نصوص المحادثات والاتصالات التي أجراها « هنري كيسنجر » مع كبار مسئولى وقادة العالم حينما كان بمثابة المحرك الأول للسياسة الخارجية الأمريكية خلال أزمتين من أخطر الأزمات التي واجهتها أمريكا في النصف الأول من سبعينيات القرن العشرين ، وبينما كانت الأزمة الأولى هناك بعيداً عنها بألاف الأميال في فيتنام حيث لاقى القوات الأمريكية هناك هزيمة منكرة لا تزال كوابيسها تؤرق الأمريكيين حتى هذه اللحظة ، كانت الأزمة الثانية في قلب منطقة الشرق الأوسط حيث دارت رحاها في تلك الأيام المجيدة من أكتوبر عام ١٩٧٣ .

ويتتبع كتاب « الأزمة » سلسلة الاتصالات المكثفة التي أجراها كيسنجر فيما يتعلق بحرب أكتوبر التي أطلق عليها اسم «دبلوماسية التليفون» ، وترسم هذه الاتصالات صورة براقية لرجل دولة شديد الحيوية يستخدم كل ما لديه من سلطات وقدرات لتحقيق الأهداف التي يرمى إليها وفي ذلك يستخدم

جميع الوسائل المتاحة من تهديد ووعيد أو مماطلة ووعود متفائلة . وتكشف هذه الاتصالات عن التحركات النشطة التي قام بها « كيسنجر » على جميع الأصعدة واتصالاته التي لم تهدأ مع المسؤولين في مصر وإسرائيل وبريطانيا والاتحاد السوفيتي السابق ، إضافة إلى المسؤولين في الأمم المتحدة وحتى داخل أروقة الإدارة الأمريكية ووزارة الخارجية . وتتزامن هذه الاتصالات مع بدء ظهور بوادر الفضيحة التي هزت أمريكا في تلك الأثناء وهي فضيحة ووترجيت التي تورط فيها الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون .

وتكشف نصوص هذه الحادثات والاتصالات الهاتفية عن الاستراتيجية التي اتبعها « كيسنجر » للتوصل إلى اتفاق لوقف إطلاق النار بين القوات المصرية والإسرائيلية خلال حرب أكتوبر ، وكان النجاح الأكبر الذي أحرزه السياسي الأمريكي المحنك في هذه الأونة هو قدرته على إنهاء القتال بالشكل الذي أدى إلى تقليص النفوذ السوفيتي في المنطقة متزامنا مع تأكيد تضامن الإدارة الأمريكية مع إسرائيل ، وفي الوقت نفسه كسب ثقة الدول العربية في قدرة الولايات المتحدة على إدارة المفاوضات الخاصة بالتسوية السلمية في الشرق الأوسط .

أما الاتصالات الخاصة بحرب فيتنام ، فتكشف عن المحاولات المستميتة التي بذلها « كيسنجر » لإخراج القوات الأمريكية من المستنقع الفيتنامي بأكبر قدر ممكن من الكرامة ، فلقد وجد الرجل نفسه محاصراً بين شقي الرخي ، فالقوات الموالية للخطر الشمالي من فيتنام تدق أبواب « سايجون » عاصمة فيتنام

الجنوبية ، والكونجرس يصم أذانه عن الاستماع للنداءات المطالبة بالموافقة على الاعتمادات الخاصة بتقديم مساعدات عسكرية طارئة .

وكانت الأزمة التي مرت بها الولايات المتحدة في فيتنام صناعة أمريكية خالصة أجبرت « كيسنجر » على إجراء اتصالات مع العديد من الأطراف في داخل البلاد وأغلبهم كانوا من بين أعضاء الكونجرس والصحفيين والكتاب ، وكان موقف الكونجرس خلال الأزمة كما يكشف الكتاب مبعث ضيق « كيسنجر » حتى قال في حوار له مع وزير الخزانة الأمريكي في ذلك الوقت « جون كوناللي » : لقد بدأت المرحلة الصعبة وبدأنا في تجرع الألم كل ذلك بسبب المناقشات التي لا تنتهي في الكونجرس حول فيتنام ، وفي حديث آخر دار بين « كيسنجر » وبين مساعده وقتذاك « برنت سكوكروفت » قال كيسنجر « إننا فقدنا الهند الصينية ولكنني سأجعلهم يدفعون الثمن لقد أكدت اليوم مراراً أن ما حدث هو خطأ الكونجرس بالدرجة الأولى » .

وكانت المهمة الأكثر صعوبة التي واجهت « كيسنجر » إنقاذ الأمريكيين الذين بقوا في « سايجون » قبل فوات الأوان ، ولكن الدراما الحقيقية كانت في نهاية الحرب عندما بدا أن المشكلة لم تعد تكمن في ملايين الدولارات التي أنفقت ولا آلاف الجنود الأمريكيين الذين قتلوا بل صارت المشكلة تتمحور حول اعتماد مساعدات إضافية عاجلة وسط مناقشات محتدمة حفل بها الكونجرس في هذا الشأن ، وهو الجدل الذي تواصل في واشنطن لفترة طويلة وأدى إلى تعثر السياسات الأمريكية حول الحرب في فيتنام .

ويمكن النظر للكتاب باعتباره رؤية فريدة من نوعها للتحديد الذي يشوب كواليس السياسة والدبلوماسية وهو ما يصفه المؤرخ والدبلوماسي البريطاني « هارولد نيكولسون » في دراسة أجراها حول السياسة الخارجية والدبلوماسية في الحقبة التي أعقبت الحرب العالمية الأولى بـ « القراءة في الضباب » .

ويظهر الكتاب أن « كيسنجر » ومساعديه في وزارة الخارجية الأمريكية لم يحفلوا كثيراً سواء خلال حرب أكتوبر أو في الفترة التي سبقت أثناء التدخل العسكري الأمريكي الدامي في فيتنام بتتبع المواقف العلنة والحقائق المكشوفة بل كان التركيز الأكبر هو معرفة ما يدور في الكواليس سواء على طول قناة السويس حيث دارت الحرب بين مصر وإسرائيل أو في هضبة الجولان التي كانت تشهد مواجهات دامية بين الجيشين السوري والإسرائيلي ، أو في ردهات الكرملين مقر الحكم السوفييتي العتيد ، أو حتى في قلب وزارة الدفاع الأمريكية في واشنطن أو في مطار سايجون ، وقد كان لهذه المعلومات أحياناً آثار سلبية بسبب وفرتها الهائلة وتناقضها في بعض الأوقات ..

وتثير الوقائع الواردة في كتاب « كيسنجر » أيضاً الذكريات الخاصة ببدايات التدخل الأمريكي الواسع في شئون الشرق الأوسط ومنطقة جنوب آسيا ، وتكشف عن أن السياسي الأمريكي العتيد كان يرى أنه من الحماقة أن تدخل مصر وسوريا حرباً يعلمان يقيناً أنهما ستمنيان بالهزيمة فيها وهو ما اتضح فيما بعد أن هذا السياسي الذي كان الكل يشهد له ببعد النظر قد فشل فيه فشلاً ذريعاً ، حيث اضطر « كيسنجر » فيما بعد

للاعتراف بأنه يفهم الموقف المصري من هذه الحرب وهو الموقف الذي كان يستهدف تحريك الأوضاع على الجبهة ، وتأكيد أن الوضع الذي كان قائماً قبل الحرب قد صار غير محتمل ومن المحتم له أن ينتهي .

ويشير الكتاب إلى أنه فيما يتعلق بعملية إجلاء الأمريكيين من سايجون التي كانت على وشك السقوط في أيدي القوات الشيوعية كان الأمر أكثر رتابة فلم يكن بوسع « كيسنجر » الكثير لفعله سوى إجراء اتصالات تلو اتصالات مع المسؤولين في وزارة الدفاع الأمريكية « البنتاجون » لإقناعهم بتوفير رحلات طيران إضافية بعد أن اكتشف فجأة أن ١٢٩ من رجال مشاة البحرية الأمريكية « المارينز » لا يزالون في العاصمة المحاصرة وهو ما أثار دهشته الشديدة . وجعله يكتب في تعليقه على هذا الأمر « يبدو أن فيتنام لا تزال ترفض أن تمضي في يسر » .

وتبدو الحادثات التي وردت بنصوصها في هذا الكتاب ممتعة ليس فقط لما كشفت عنه من أساليب تحكم السياسة الخارجية في وقت الأزمات ، بل أيضاً لما تكشف عنه من تفاصيل ما دار في أروقة الإدارة الأمريكية في مرحلة شديدة التعقيد لاقت انتقادات متعددة من قبل أطراف عدة ، ويمكن لـ « كيسنجر » دائماً أن يدافع عن نفسه في وجه أي انتقادات بأنه لم يكن سوى « ترس في آلة » .

والبعض من المتعاطفين مع « كيسنجر » يقول إنه قام بما قام به من تحركات سياسية مدفوعاً بالموقف الصعب الذي كان يمر به حيث كان محاصراً بين اتحاد سوفيتي قلق وموقف خطير في

الشرق الأوسط ورئيس مهتز كالرئيس نيكسون وكونجرس متقلب المزاج في ظل ظروف حرب كحرب فيتنام ، ويضيف هؤلاء أن « كيسنجر » كان يسعى لإنقاذ ما يمكن إنقاذه وسط هذه الفوضى ، وبالرغم من كل شيء إلا أن الحكم في النهاية - كما يعلم السيد كيسنجر يقيناً - يبقى للتاريخ وحده .

وقد أثار كتاب « كيسنجر » الجديد ضجة عارمة في الولايات المتحدة دفعت العديد من الشبكات التلفزيونية والإذاعية فضلاً عن الصحف والمجلات لإجراء حوارات مستفيضة معه عما جاء في هذا الكتاب من أسرار تميط اللثام عما دار في مرحلة دقيقة من مراحل العمل الدبلوماسي في الولايات المتحدة ومن بين هذه الحوارات حوار أجراه « جيم ليرير » على شاشة شبكة « بي بي إس » الأمريكية .

ولاهمية هذا الحوار وخطورته كان من الضروري أن نورد نصه هنا :

جيم ليرير : حوارنا هذا مع وزير الخارجية الأسبق « هنري كيسنجر » حول كتابه الذي يعود بنا إلى أجواء أزمتين واجهتها الولايات المتحدة في عامي ١٩٧٣ و ١٩٧٥ في الشرق الأوسط وفيتنام .. السيد كيسنجر ما هي أسباب اختيارك لهاتين الأزمتين بالتحديد ؟

كيسنجر : إن الحرب في الشرق الأوسط بكل ما اكتنفها من صعوبات تمثل نجاحاً باهراً للولايات المتحدة ، لقد تمكنا من حماية حليف لنا ، وقلصنا الدور السوفيتي في الشرق الأوسط ، وتجنبنا نشوب حرب نووية ، وبدأنا عملية سلام قادت بعد سنوات عدة

إلى إبرام ثلاث اتفاقات بين العرب وإسرائيل ، أما الانسحاب من فيتنام فكان بمثابة مأساة للأمريكيين وكان انتكاسة لجهود بذلتها خمس إدارات أمريكية متعاقبة وكانت هذه المأساة في جزء منها ترجع إلى الانقسامات الداخلية في أمريكا ، وكل ما أردت توضيحه هو النتيجة النهائية لهذه الانقسامات وكيف كانت الأجواء في ذلك الوقت ، عندما كان قصارى ما يمكن أن تفعله هو أن تحاول الحفاظ على ماء الوجه وإنقاذ أكبر عدد ممكن من أرواح الأمريكيين الذين كانوا يعتمدون عليك .

ليبرير : لقد كانت الوسيلة التي اعتمدت عليها في تناول هاتين الأزميتين هي نصوص الاتصالات الهاتفية التي أجريتها أو تلقيتها بوصفك وزيراً لخارجية أمريكا في تلك الفترة .. كيف حصلت على هذه المحادثات ؟

كيسنجر : حسناً .. لقد تم إعداد نصوص هذه المحادثات حتى يمكنني الاستعانة بها ، إذ أنني لم أكن أملى مذكرة بمحتويات كل اتصال هاتفي كنت أجريه أو ألقاه ، ففي بعض الأحيان كان عدد هذه الاتصالات يبلغ نحو عشرة اتصالات في الساعة الواحدة إذا ما كان الموقف يتغير بسرعة .

ليبرير : على سبيل المثال ، كنت أنت في ذات مرة على الهاتف مع « ناتولي دوبرنين » الذي كان وقتها سفير الاتحاد السوفيتي في الولايات المتحدة وكنتما تتناولان الوضع في الشرق الأوسط حين قلت إن الحرب قد تندلع قبل ..

كيسنجر « مكملأ » : « قيل أن أنني الكلمات التي كنت أتفوه بها » ، كان هذا قبيل نشوب الحرب في الشرق الأوسط مباشرة .

وكانت لدينا معلومات بإمكانية اندلاع القتال وكذا في السادسة صباحاً ، ولذا هاتفنا دوبرنين لأبلغه تأكيداً فوضتني الحكومة الإسرائيلية بإبلاغه إياه أن إسرائيل لا تعتزم المبادأة بالهجوم ، وذلك للحيلولة دون وقوع الحرب طالما كان السبب فيها خشية وقوع هجوم إسرائيلي .

ليريز : هذا الإبلاغ كان يستهدف المصريين والسوريين ؟
 كيسنجر : نعم المصريون والسوريون .. كنت أحاول أن أبلغ الرسالة إليهما عبر السفير السوفيتي ، ولكننا لم نكن نعلم يقيناً متى ستقع الحرب . وعندما وقعت الحرب بالفعل لم نكن نعرف من هو الطرف البادئ ، وأمضيت مع دوبرنين ساعتين على الهاتف لنبحث هذا الأمر لكنني كنت على يقين بأن إسرائيل لن تشن الحرب في يوم مقدس بالنسبة لليهود مثل يوم كيبور .

ليريز : إذن سكرتيرتك هي من قامت بتسجيل هذه المحادثات..
 هل ذلك يعني أنها كانت تستمع إليها ؟

كيسنجر : لم يكن الأمر يتعلق بتسجيل هذه المحادثات بل تدوينها بشكل ما .

ليريز : هل كان لديك مساعدون يستمعون إلى محادثاتك الهاتفية ؟؟

كيسنجر : هذا صحيح ..

ليريز : هل كان من يتحدثون معك هاتفياً على علم بأن هذه الأحاديث يتم تسجيلها ؟

كيسنجر : لم يتم إبلاغهم بذلك بشكل واضح ولكن مثل هذه التسجيلات أمر معتاد ومبرر ، وما لم يكن معتاداً هو أن يتم حفظ هذه التسجيلات .

ليبرير : وقمت أنت بحفظ هذه التسجيلات واخترت بعضها للنشر في هذا الكتاب .

كيسنجر : لقد جمعت كل الحادثات التي جرت حتى يعلم القارئ ما الذي كنا نعلمه وما الذي قلناه وقتها . ولم يتم إجراء عمليات حذف على هذه النصوص . فقط في بعض الأوقات التي كنت أجد فيها أن هناك تكراراً للنقطة تم تناولها من قبل كنت أ حذف العبارات التي تكرر نفس المضمون ، ولكن الكتاب يحوى كل الحادثات الهاتفية التي دارت حول موضوعى الشرق الأوسط وفيتنام خلال الفترة التي أوضحت في الكتاب أننى أعطى الأحداث التي دارت فيها .

ليبرير : على أى حال سننتقل إلى فيتنام بعد لحظات ، ولكن الآن لماذا في رأيك بعد مرور ثلاثين عاماً على حرب أكتوبر لم يتم بعد إحلال سلام شامل ودائم في منطقة الشرق الأوسط ؟

كيسنجر : ربما لعوامل نفسية وعاطفية .. ليس هذا فحسب .. بل أيضاً يكمن السبب في نظرة كل طرف من أطراف الصراع لمطالب الطرف الآخر باعتبارها غير مقبولة .. ولذا أتبعنا خلال المرحلة التي سميت فيها لحل هذا النزاع إلى التقدم بطريقة الخطوة خطوة التي أسفرت في النهاية عن التوصل إلى عدد من الاتفاقيات ولكننا الآن نفتقر إلى خطوات ملموسة أو حتى خطوات ضئيلة للتقدم ليس ذلك فحسب بل زادت حدة العنف بشكل كبير وهذا هو ما أدى إلى الموقف الذى نحن فيه الآن .

ليبرير : أكثر من ذلك فلدينا هذه الأيام العمليات الفدائية .. وقيام إسرائيل باستهداف نشطاء حماس .. أليس ذلك صحيحاً ؟

كيسنجر : بالإضافة إلى ذلك يوجد الموقف الرامن على الساحة الدولية .. عندما كنت في منصبى كان هناك الاتحاد السوفيتى الذى كان بإمكانه تصعيد التوتر ، الآن لدينا عدد من الدول التى ربما لا تمتلك ذات قدرات الاتحاد السوفيتى ولكن بإمكانها مثل العراق وإيران وسوريا التى تقسح المجال للجماعات الإرهابية للعمل ، لذلك نحن فى موقف صعب للغاية ولكنى أعتقد أننا يجب أن نصل إلى نهاية محددة لهذا الموقف خلال فترة معقولة من الوقت .

ليبر : هل تمتلك الولايات المتحدة القدرة على تحقيق ذلك ؟

كيسنجر : الحقيقة أن الولايات المتحدة لا تملك القدرة على تحقيق ذلك ولكن فى نقطة ما يتعين عليهم أن يتقدموا بفكرتهم - أقصد فكرتنا - حول ما يمكن للفلسطينيين أن يتوقعوه .. وما الذى تستطيع إسرائيل أن تساهم به فى هذا المجال وأن نبلغ الفلسطينيين بأنهم لا يستطيعون أن يضغوا فى خلفية ذهنهم نوعاً من المفاوضات يعد فى حد ذاته عملية استنزاف ويكون الهدف منها فى النهاية تصفية وإزالة دولة إسرائيل . أعتقد أن الجانبين عليهما الآن تفهم حقيقة أنك لا تستطيع أن تفرض إرادتك الخاصة على الطرف الآخر بالقوة وفى مراحل معينة كما تعرف . أعتقد غالباً ما أعود بفكرى لحرب الثلاثين عاماً فى أوروبا إننى لا أفكر بشكل عفا عليه الزمن رغم أننى كبير فى السن بما فيه الكفاية لكن هى حرب استمرت ثلاثين عاماً بدأت حول فرض عقيدة ما على البروتستانت والكاثوليك أو العقيدة البروتستانتية والكاثوليكية على الخصم وقد انتهت هذه الحرب بعد ثلاثين عاماً

باتفاق على أن يتسامح كل طرف مع ديانة الطرف الآخر وبأن تكون العقيدة أو الديانة خارج السياسة .

ليوير : إذن .. ربما يمكن أن يتكرر ذلك ؟

كيسنجر : في بعض الأحيان أعتقد ذلك .

ليوير : والآن نظرة سريعة على فييتنام .. هناك الكثيرون من الناس بدأوا يقولون الآن إن العراق بدأ في التحول إلى صورة أخرى لما حدث في فييتنام . هل تعتقد ذلك فعلاً ؟

كيسنجر : إنها حرب عصابات والإجابة عن هذا السؤال ربما تحتاج لوقت يفوق الوقت المخصص لهذا البرنامج ولكن على أي الأحوال ، فإن نصف أحد المباني ، وهو مسالة نادراً ما تحدث ، يلت الكثير من الانتباه . وهؤلاء الذين يدافعون عن الوضع القائم حالياً يتعين عليهم النجاح بنسبة مائة في المائة طول الوقت بينما لا يحتاج رجال حرب العصابات إلى أكثر من نجاح تتراوح نسبته بين ١ و ٢ ٪ فقط . هذا هو الموقف ببساطة .

أما في فييتنام فقد كانت هناك ظروف خاصة جداً . كانت هناك أدغال يمكن الاختباء فيها وكانت هناك خطوط إمداد ومصادر تمويل من الاتحاد السوفيتي الذي كان يقدم للفييتناميين كل شيء تقريباً . كانت هناك فرق عسكرية تابعة لفييتنام الشمالية ولذلك فإن القوات الأمريكية التي كانت تدعم حكومة فييتنام الجنوبية كان يتعين عليها أن تواجه قوات نظامية معادية وأيضاً قوات حرب عصابات . وسط كل هذه الظروف يمكن القول إن الأحوال في العراق أفضل بكثير ويجب أن نتذكر أننا مازلنا في بداية الشهر الرابع من نهاية العمليات العسكرية في العراق . لقد كنت

ضمن القوات العسكرية خلال احتلال ألمانيا وهذه المقارنة ليست دقيقة بالضرورة لكن لم تكن هناك قوة بوليس في ألمانيا وكنا ندير كل شيء هناك لفترة طويلة .

ليوير : نعود مرة أخرى إلى كتابك « الأزمة » ما الذي تريد أن يعرفه الناس من خلال قراءة هذا الكتاب الذي يحتوي في معظمه على محادثاتك التليفونية التي كانت ذات طابع درامي وقت إجرائها ؟ أقصد ما الذي يتعين على القراء معرفته عن معالجة الأزمة ؟ هل هناك رسالة يحملها الكتاب تريد أن تقولها .. أي هل هناك شيء خاص يجب أن يفعله الآخرون عندما يكونون في وسط أزمة من هذا النوع ؟

كيسنجر : أعتقد أنه يتعين عليهم تطوير نوع من المشاعر بداخلهم في مثل هذه الأوقات أو على الأقل إبداء قدر من التفهم لصانع القرار خاصة أنه لا تكون لديه دائماً بالضرورة فكرة واضحة عما يجري . ولكن المهمة الأساسية والكبرى لصانع القرار يجب أن تكون أولاً هي معرفة ما يجري ثم تحديد الهدف وبعد ذلك تحديد الوسيلة التي يمكن من خلالها تحقيق الأهداف ثم السعي لإقناع جهات وأطراف عديدة مثل الحكومات الأجنبية وأعضاء الكونجرس ورجال الإعلام . كل ذلك يجب أن يتم تناوله بشكل فوري ومتزامن حيث تكون كل الكرات معلقة في الهواء في نفس الوقت . لذلك ففي بعض الأحيان عندما يرتكب صانع القرار خطأ أو عندما يقول شيئاً لا يتحقق تماماً بالشكل الذي تنبأ به فإن ذلك يعني أنه يعاني التشوش بشكل أو بآخر مثله في ذلك مثل أي شخص آخر .

ليوير : فى الحقيقة أنا قرأت عرضاً لكتابك يقول إنه يحدد رسالة ما بأن الضباب عادة ما يحيط بكل أزمة وبأن ليس هناك من يعرف حقيقة كل شيء . وفى الجزء الخاص بفيتنام فى كتابك قضيت ساعات طويلة من المحادثات التليفونية لكى تحاول معرفة عدد الأمريكيين الذين مازالوا هناك فى فيتنام ويجب إخراجهم منه .

كيسنجر : هذا صحيح وفى نهاية الأمر وبعد أن قضيت شهراً لمعالجة مشكلة الإجلاء وتخطيط العملية كان هناك حوالى ٨٠٠ شخص يجب إجلاؤهم بشكل طارئ وبعد أن جهزنا طائرات الهليكوبتر التى ستقوم بذلك اكتشفنا أن هناك ١٢٢ من مشاة البحرية مازالوا هناك . وقد عقدت على الفور مؤتمراً صحفياً رغم ذلك وأعلنت مغادرة الجميع لفيتنام وعدت إلى مكتبى لأقول إن وحدة الحراسة من مشاة البحرية لم تغادر بعد ولذلك يتعين علينا إرسال ثلاث طائرات هليكوبتر أخرى لإعادتهم.

ليوير : إذن المعلومات تعد مسألة حاسمة بالنسبة لاي شخص يدير أزمة ؟

كيسنجر : نعم المعلومات والإحساس بالوجهة التى تسير إليها الأحداث وبعض الفهم لما تحاول أن تفعله .

ليوير : وطبعاً هذا يجب أن يأتى من الرئيس حتى إذا كنت أنت وزيراً للخارجية .. هل هذا صحيح ؟ وقد حدث ذلك فى الأزمتين معك شخصياً ، هل كنت تعرف بدقة ما كان يريد الرئيس منك أن تفعله فى كلتا الأزمتين ؟

كيسنجر : كما ترى في الكتاب كنت أقوم بدور رئيس ولكني كنت أتأكد من كل قرار كبير وكنت أحيط الرئيس علماً .
ليروي : الرئيس نيكسون في الأزمة الأولى حول الشرق الأوسط ؟

كيسنجر : والرئيس فورد في الأزمة الثانية .
ليروي : د. كيسنجر لقد سعدت بلقائك وأشكرك على الحضور ،
أتمنى حظاً جيداً لكتابك .



أنه
كيسنجر

حرب أكتوبر

وعمليّة السلام

في الشرق الأوسط

بداية الأسطورة

■ في ذلك الحين لم يكن قد عرفت أنور السادات جيدا ، ولذلك كان لا بد وأن أستنتج أنه أيضا يلعب لعبة عبد الناصر ■
كيسنجر

هناك ما يشبه الإجماع على أن هنري كيسنجر لعب أخطر الأدوار في منطقة الشرق الأوسط، وكان أحد العوامل الأساسية التي شكلت سياسات الولايات المتحدة في هذه المنطقة بطريقة يرى البعض أنها مازالت مستمرة حتى الآن. وفي ضوء هذه الحقيقة، هناك سؤال مهم يطرح نفسه بقوة في هذا السياق. هذا السؤال هو: متى بدأ كيسنجر في الانغماس بشكل كامل في سياسات الشرق الأوسط، وبطريقة تتجاوز حتى حدود مسؤولياته ومهامه كمستشار للأمن القومي أو كوزير للخارجية؟

يجيب كيسنجر بنفسه على هذا السؤال في مذكراته بعنوان «سنوات البيت الأبيض» (The White House Years) حيث يقول إن الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون كان يخشى من تكرار الأزمات بصفة دورية في منطقة الشرق الأوسط في سنة انتخابات رئاسته (١٩٧٢) لذلك طلب منه في عام ١٩٧١ أن يتدخل في النزاع على الأقل لكي يحافظ على بقاء الأمور هادئة.

ويقول كيسنجر : « إن الرئيس نيكسون كان يدعم مساعي وزارة الخارجية الأمريكية نحو التوصل إلى اتفاقية مرحلية وكان يدرك معارضتي للأسلوب الذي انتهجه وزير الخارجية ويليام روجرز حيث أكدت له أن سبب خلافي مع روجرز يرجع إلى أن أي تسوية يتم التوصل إليها سيكون السوفييت هم المنتفعين منها خاصة أن الجيش المصري يعتمد على الدعم السوفيتي، وبالإضافة إلى ذلك فقد كان من الواضح أن الرئيس السادات يعتمد في ذلك الوقت على جيشه».

ويعضى كيسنجر قائلا: «إن نفاذ صبر السادات أصبح واضحا في تصريحاته المتكررة والتي كان يؤكد فيها أن عام ١٩٧١ يجب أن يكون هو عام الحسم في الشرق الأوسط. وكانت رؤيتي الشخصية أن الاستراتيجية الأمريكية يجب أن تقوم على إجهاض أي سياسة مصرية تستند إلى التهديدات العسكرية والتعاون مع الاتحاد السوفيتي. وكانت معاهدة الصداقة التي أبرمها السادات مع السوفييت أحد الأسباب الرئيسية التي زادت من رغبتى لكى أثبت للجميع أن التهديدات العسكرية وعقد المعاهدات مع الاتحاد السوفيتي لا يمكن أن يؤدي إلى نتيجة حاسمة».

ويعضى كيسنجر في مذكراته قائلا: «إنه حتى تلك اللحظة لم يكن يعرف أنور السادات جيدا، لذلك كان لا بد وأن يستنتج أنه أيضا يلعب لعبة عبدالناصر».

ويكشف كيسنجر في مذكراته كيف بدأ في معالجة قضية الصراع العربي - الإسرائيلي بطريقته الخاصة، فيقول:
«كانت خطوتي الأولى هي استطلاع موقف السوفييت وما إذا

كانوا مستعدين لإبداء بعض المرونة باسم مصر. وكانت خطتي أننى إذا لم أجد لديهم مثل هذه الرغبة فسوف يكون البديل عندي هو استدراجهم إلى مفاوضات تستغرق فترة زمنية طويلة ولا تصل إلى نتيجة حتى يحدث أحد أمرين.. إما أن يغير السوفييت موقفهم أو أن تغير إحدى الدول العربية موقفها).

ويعضى كيسنجر قائلاً إنه خلال النصف الأول من عام ١٩٧١ بذل جهوداً لكسب الوقت أو بمعنى آخر لتضييع الوقت خلال محادثاته مع أناتولى دوبرنين - السفير السوفيتى فى واشنطن - وبعد ١٥ يوليو ١٩٧١ بدأ الحديث عن إمكانية تعاون الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى فى الشرق الأوسط، وتحدد ذلك بشكل حاسم فى رسالة بعث بها الرئيس نيكسون إلى الزعيم السوفيتى بريجنيف يوم ٥ أغسطس. وقد رد بريجنيف على هذه الرسالة بأن أعرب لنيكسون عن خيبة أمله لأن واشنطن قطعت الاتصالات المباشرة مع موسكو من قبل حول الشرق الأوسط.

ويعترف كيسنجر بأن هذه الفترة من الاتصالات السلبية لم تجعل مصر تلجأ إلى الاسترخاء العسكرى، حيث حركت مصر بعض منصات صواريخها إلى مسافة أقرب لخط النار، كما دمر صاروخ مصرى طائرة استطلاع إسرائيلية.

ويواصل كيسنجر فى مذكراته الحديث عن منهجه فى التعامل مع قضية الشرق الأوسط بقوله إنه اقترح على نيكسون طريقة عمل جديدة يوم ٢٢ سبتمبر ١٩٧١. وجوهر هذه الطريقة ببساطة هو تحجيم الآمال المصرية والتي كانت تتمثل فى إصرار الرئيس السادات على تحريك قواته إلى منطقة المناورات فى سيناء وذلك

فى إطار أى تسوية مؤقتة.

يقول كيسنجر : « كان اعتقادى بحق أن مشكلة الشرق الأوسط أصعب من مشكلة برلين، ولذلك فلا يمكن حلها فقط من خلال الاتصالات الأمريكية - السوفيتية ولا بد من إقامة صلة مع مصر. وفى ذلك الوقت كان الرئيس نيكسون يطلب منى المزيد من المشاركة الإيجابية فى الجهود الدبلوماسية الأمريكية فى الشرق الأوسط من أجل ضمان هدوء الأحوال فى هذه المنطقة لما بعد انتخابات ١٩٧٢. وفى يوم ٢٠ سبتمبر ١٩٧١ التقيت مع وزير الخارجية السوفيتية أندريه جروميكو فى سفارة الاتحاد السوفيتى بواشنطن وطرحت عليه فكرة الحل المرحلى دون الفرق فى التفاصيل. وكان تقديرى أن انسحاب الإسرائيليين لى مسافة فى سيناء سيكون له مغزى هائل ورمزى باعتباره يمثل تقدما، وفى نفس الوقت يجب أن يحيط الغموض بالهدف النهائى للعملية. وكان رد جروميكو هو رفض وجهة النظر هذه وأكد أن مصر لن تتنازل عن الربط بين الاتفاقية المرحلية والتسوية النهائية بطريقة محددة وبتفصيل كما أن هذه التسوية النهائية من الأفضل أن تتم فى موعد لا يتجاوز عاما واحدا من التوصل إلى الاتفاق المرحلى. وأضاف جروميكو أن مصر تطالب بشدة بأن تتضمن التسوية النهائية انسحابا إسرائيليا كاملا من جميع الأراضى العربية المحتلة».

ويعلق كيسنجر على ما قاله جروميكو بقوله: «إن هذا الوضع ما كان لي طرح أى دافع لتشجيع إسرائيلى على عقد اتفاقية مرحلية، أما بالنسبة لنا فلم يكن هناك أيضا ما يحفزنا إلى

التعاون مع الاتحاد السوفيتي في الشرق الأوسط.
وطوال تلك الفترة كان كيسنجر يسعى لهدم جهود الخارجية
الأمريكية في تحقيق تقدم في الشرق الأوسط. وفي ديسمبر
عام ١٩٧١ رفعت الخارجية الأمريكية الراية البيضاء واعترفت
بأن محاولات التسوية التي تبذلها وصلت إلى طريق مسدود،
والأكثر من ذلك أنها أقرت أيضا بدوره الجديد في هذه المشكلة
عندما وافقت على أن تستمر مفاوضات كيسنجر مع إسحق رابين
- السفير الإسرائيلي في واشنطن - وأيضا السفير السوفيتي
دوبرنين. وفي نفس الشهر اتفقت جولدا مائير - رئيسة وزراء
إسرائيل - مع نيكسون على التخلي عن محاولة التوصل إلى
تسوية شاملة.

يقول كيسنجر في مذكراته إن هذا الوضع كان يتفق مع
تصوراته ولم تبق أمامه سوى مشكلة واحدة وهي أن المصريين
غائبون عن قنوات الاتصال التي أقرتها واشنطن، بالإضافة إلى
ذلك فقد أدرك كيسنجر بدهائه أن هذا الوضع يضع السوفييت في
مأزق أمام حلفائهم المصريين، كما أن حساباته كانت تقوم على
أساس أنه كلما طال أمد العملية، كلما تدعمت السيطرة على موقف
مصر.

وقد بحث كيسنجر في ذلك الوقت بمذكرة إلى الرئيس نيكسون
لدعم وجهة نظره وقال فيها إن مصر لا تستطيع أن تقتصر في
حرب ضد إسرائيل ومعنى ذلك أن العرب ومصر بالتحديد
لن يكون أمامهم سوى أحد موقفين الأول هو اعتزاز ثقتهم في
قدرة الاتحاد السوفيتي على تحقيق تسوية والثاني أن يشن

المصريون حرباً تفرض على السوفييت اتخاذ موقف حازم بشأن الدعم العسكري، الأمر الذي سيشكل مجازفة كبرى بالنسبة لموسكو.

يقول كيسنجر في مذكراته (سنوات الميث الأبيض) إنه طرح استراتيجية جديدة لسد الفجوة بين رغبة إسرائيل في إجراء تغييرات في الحدود وإصرار العرب على الانسحاب لحدود ١٩٦٧. وكانت هذه الاستراتيجية تقوم على فكرة الفصل بين موضوع الأمن وموضوع السيادة. أي أن تسترد مصر سيادتها الكاملة على سيناء وفي نفس الوقت تحتفظ إسرائيل بمراكز دفاعية على الأرض المصرية. وقد وافق إسحق رابين وموشيه ديان على هذه الفكرة. وكان موقف السوفييت هو أن تطرح واشنطن برنامجاً أكثر شمولاً للسلام. واقترح أندريه جروميكو أن تجري مفاوضات علنية بين موسكو وواشنطن للفصل بين القوات على قناة السويس شريطة أن يتوصل هو وكيسنجر في نفس الوقت إلى تفاهم سرى حول بنود تسوية شاملة يكشف النقاب عنها وتنفذ على الفور عقب انتخابات الرئاسة الأمريكية في أواخر عام ١٩٧٢.

ويقول كيسنجر : « لم أعتقد أن هذا الاقتراح يمكن تنفيذه وكان ردنا عليه هو الرفض، حيث كان يقينا أن الزعماء السوفييت يتصرفون وكأن وجودهم في العالم العربي أبدي رغم أنني أكدت لدوبرينين أن مركزهم في هذه المنطقة ليس على هذا القدر من القوة الذي يتصورونه فسياسة الكرملين لا تحقق لحلفائه سوى الهزيمة أو الجمود. وكان رد دوبرينين أن موسكو تستطيع زيادة

وجودها العسكرى فى مصر كورقة خطيرة للمناورة، ولكننى كنت أشك فى ذلك لأننى كنت مقتنعا بأن موسكو لن تصل إلى حد إشراك قواتها فيما يمكن أن يصل إلى مواجهة مباشرة مع الولايات المتحدة».

والغريب أن داهية السياسة الأمريكية هنرى كيسنجر لم يقر أن الكثير من تقديراته كانت خاطئة رغم أن بعضها كان صحيحا . يقول كيسنجر: «أوضحت للرئيس نيكسون أن العلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتى ليست كما كانت فى عهد عبدالناصر. فقد طلب السادات أسلحة متقدمة ودعم دبلوماسيا وعسكريا بحجم يشبه ما قدمه السوفييت إلى الهند أثناء حربها مع باكستان ولكن السادات لم ي تلق من موسكو ما كان يتوقعه على الصعيدين العسكرى والدبلوماسى. وفى تقديرى أن حسابات موسكو كانت تقوم على عدم تحمل مخاطر لا يمكن السيطرة عليها كما أن موسكو لم تكن ترى منفعة من دعم مصر إلى الدرجة التى يمكن أن تؤدى إلى تقليل اعتماد القاهرة على الاتحاد السوفيتى».

يقول كيسنجر: «إن السوفييت حاولوا أن يكسبوا كل شيء ونسوا أن السياسة هى فن الممكن وأنهم قد يخسرون كل شيء فى النهاية. وفى شهر أبريل عام ١٩٧٢ فتحت مصر قناة اتصال سرية مع البيت الأبيض واقترح المصريون أن أزور القاهرة أنا أو ريتشارد هيلمز وأن يأتى إلى واشنطن حافظ إسماعيل - مستشار الرئيس السادات لشئون الأمن القومى - وأرسلنا ردنا يوم ٢٩ أبريل بأننا ننتظر حافظ إسماعيل ونشعر باهتمام لعقد اجتماع سرى على مستوى عال وسنرحب باستقبال ممثل للرئيس

السادات في الولايات المتحدة. وأبلغتنا مصر باننا سنلتقي ردا رسميا في شهر يوليو التالي بعد الزيارة التي كان من المقرر أن يقوم بها الرئيس السادات لموسكو في تلك الفترة وبالتحديد في شهر أبريل. وقد ظهرت مؤشرات على تزايد التوتر بين القاهرة وموسكو، وكان السادات قلقا من أن يوافق السوفييت على بقاء الامر الواقع في الشرق الأوسط.

ويعترف كيسنجر أيضا في مذكراته بأنه أخطأ في حساباته تجاه أنور السادات حيث اكتشف أنه واحد من الزعماء البارزين القلائل الذين التقى بهم وأنه يتميز بالشجاعة ونفاذ البصيرة لدرجة أنه كانت لديه الجرأة لأن يدخل حربا لم يكن أحد يتصور أنه يمكن أن يقوى عليها كما أنه يتصف بالاعتدال الذي يجعله يتحرك نحو السلام بعد ذلك مباشرة.

يقول كيسنجر: « في عام ١٩٧٢ لم يكن أي شيء من ذلك واضحا لي، فقد وجه السادات تهديدات كثيرة لم ينفذها. وخلال الجهود السلمية بدا لي أن السادات لم يتخل عن أوهام عبدالناصر التي كانت تجعله يصر على مطالب لا يمكن تحقيقها. وربما كان السبب في هذا الخطأ هو أنه لم يكن لدينا من قبل حوار منتظم مع السادات لكي نكتشف كيف يفكر السادات حقا وكانت معظم تعاملاتنا قبل فتح قناة الاتصال بين القاهرة والبيت الأبيض في أبريل ١٩٧٢ تتم من خلال موسكو، لذلك تركزت كل جهودى على إقناع السادات بعدم جدوى الطريق الذى يسير فيه ».

يقول كيسنجر: «اكتشفت بعد ذلك أن السادات يراهن على ما هو أكبر من كل تصوراتنا. فقد فجر السادات قنبلة نسفت كل

هذه التصورات السابقة عنه، ففي ١٨ يوليو ١٩٧٢ أعلن السادات إنهاء مهمة أكثر من ١٥ ألف خبير عسكري سوفيتي في مصر بحيث ينسحبون خلال أسبوع. وكان هذا القرار مفاجأة كاملة لواشنطن. وكانت استراتيجية جيتي هي إقناع مصر بتقليل اعتمادها على السوفييت، وبالإضافة إلى ذلك فقد كنت إلى ذلك الحين أميل إلى التقليل من تقدير شخصية الرئيس السادات الذي لم أتوقع أبدا أن يتخذ مثل هذا القرار بخطوة واحدة ضخمة. وبعد دراسة قرار طرد الخبراء السوفييت كان تقديري أن السادات حاول أن يعبر عن خيبة أمل المصريين في الاتحاد السوفيتي أو تحسين خياراته العسكرية في العام التالي ١٩٧٢ بإبعاد السوفييت حتى لا يعرقلوا أي تحركات هجومية مصرية، وبالإضافة إلى ذلك فربما كان السادات يسعى لإغراء الولايات المتحدة على التحرك للرد على هذه الخطوة. وقد أصاب قرار السادات موسكو بالارتباك وأكدت شخصيا للسفير السوفيتي دوبرنين عدم وجود أي علم مسبق بهذا القرار. وقد بعث برجينيف برسالة إلى نيكسون حاول فيها تفسير ما حدث فقال إن خروج السوفييت من مصر جاء تنفيذا للاقتراح الذي قدمه جروميكو في سبتمبر ١٩٧١ حول انسحاب القوات وبالتالي فإنه يتعين على الولايات المتحدة أن تنفذ الشق الخاص بها في هذا الاتفاق هو أن تضغط على إسرائيل في اتجاه تسوية يتم بمقتضاها تحرير كل الأراضي العربية المحتلة في عام ١٩٦٧.

ولاشك أن ما ذكره كيسنجر حول مفاجأة واشنطن بقرار طرد الخبراء السوفييت لم يكن هو المفاجأة الوحيدة، فقد كانت المفاجأة

الكبرى هي حرب أكتوبر ١٩٧٢ والقرار الذي أصدره السادات بخوض هذه الحرب رغم كل حسابات كيسنجر التي اعترف بأنها كانت خاطئة. ولكن كمادة كل سياسي داهية كان كيسنجر دائماً يحاول أن يوحى بأن حركة الكون تأتي وفقاً لمخططاته وتصوراته رغم أن ذلك لا يمكن أن يغير الحقيقة أو أن يعيد التاريخ إلى الوراء.

ويورد كيسنجر في مذكراته مثالا لكيفية صنع القرار السياسي الأمريكي ذا أهمية بالغة، وهو الحرب الأهلية في الأردن سنة ١٩٧٠ «أيلول الأسود». وقد كتب كيسنجر الكثير عن هذا الصراع كمجابهة استراتيجية بالوكالة بين الدولتين العظيمةتين، لكنه كتب أيضاً عن فائدة إسرائيل كحليف استراتيجي للولايات المتحدة. وعلى وجه التحديد، كان الموضوع في واشنطن هو الفائدة الممكنة من تشجيع إسرائيل على إرسال قواتها الجوية والبرية للدفاع عن نظام الملك حسين ضد وحدات المدرعات السورية، التي دخلت الأردن لمساندة الفدائيين، والفترة من الزمن، برز تباين كبير في الرأي بين نيكسون وكيسنجر فيما يخص هذا الأمر؛ إذ أصر نيكسون على أنه إذا حدث تدخل عسكري لمصلحة الملك حسين، فيجب أن تكون القوات العسكرية أمريكية. وقد وافق وزير الخارجية روجرز على رأي الرئيس، لكن كيسنجر نجح في النهاية في إقناع رئيسه بأن التدخل الأمريكي أمر غير ملائم لأسباب تقنية. يقول كيسنجر: «جرى عرض سريع لإيجابيات التدخل العسكري الأمريكي وسلبياته، فقرر الرأي بيننا على أن السبيل الأفضل لاستخدام قواتنا هو في الوقوف في وجه أي

تدخل سوفيتي ضد العمليات الإسرائيلية، ولو أردنا أن نتدخل عسكريا بنجاح من جانب واحد لكان علينا أن ندفع إلى المعركة بكل احتياطينا الاستراتيجي. وفي مثل هذه الحالة، نكون قد نشرنا قواتنا انتشارا يكاد يبلغ حد التمركز في ساحتين بعيدتين غاية البعد [أي في الشرق الأوسط وفيتنام]، وبالتالي نصبح بلا غطاء يحمينا في وجه أية أزمة طارئة جديدة. ويجب أن تدخل قواتنا ساحة المعركة من دون عتاد ثقيل ومع غطاء جوي يتم من على حاملات الطائرات فقط. والطريق البري الوحيد لتأمين القوات يمر في إسرائيل الأمر الذي يربطنا بها. في حين أن الابتعاد عنها هو السبب الرئيسي للعملية الأمريكية، وإذا واجهتنا المشكلات لكان علينا أن نستعين بإسرائيل. وباختصار، لو تدهور الوضع في الأردن وخرج عن السيطرة لما أمكن إعادة الأمر إلى نصابه إلا بتوجيه ضربة كبيرة ضد سوريا، وأفضل من يوجه هذه الضربة هو القوات المسلحة الإسرائيلية».

كان كيسنجر يخطط لعمليات إسرائيلية جوية أو برية على الأرض الأردنية، ولم يكن ينوي استئذان الملك حسين إذ كان يفترض أن حسين قد يكون بحاجة إلى هذه العمليات لكنه لا يستطيع أن يصرح بذلك. لكن حسين سئل عن الأمر وكان جوابه، كما يقول كيسنجر: «غامضا فيما يختص بضربات جوية إسرائيلية وسلبيا فيما يختص بعملية مساندة إسرائيلية برية». وفي نهاية المطاف، أصبح الأمر نظريا، إذ تراجع السوريون ولم تستخدم أية قوة إسرائيلية. ونحن لا نعلم ما إذا كان سبب ذلك التراجع السوري هو كفاءة الجيش والطيران الأردنيين، أم تخوف

السوريين والسوفييت من تدخل إسرائيل مدعوم أمريكياً. أما كيسنجر والكثيرون غيره، فإنه لا يتردد في الادعاء بأن الحزم الأمريكي الإسرائيلي كان سبباً جوهرياً، بل إن نجاح قوات حسين ذاتها مدين بالكثير للتأثير المعنوي للدعم الخارجي.

لا ريب أن الولايات المتحدة كانت تمر، سنة ١٩٧٠، بفترة من العلاقات المتوترة للغاية بسوريا وبعض الدول العربية الأخرى، في حين كان الملك حسين يصارع من أجل البقاء، ويعانى من سمعة سيئة بسبب عداوته للمقاومة الفلسطينية. من هنا يمكن القول إن اعتماد الولايات المتحدة أو حسين على المساعدة الإسرائيلية لا يكلفهما ثمناً إضافياً. وبالإضافة إلى ذلك، فلو حدث تدخل إسرائيلي لكان ذلك لأسباب خاصة بإسرائيل، ولكانت هي نفسها التى تتحمل المسؤولية. أما باقى الزعماء العرب، بمن فيهم عبدالناصر نفسه، فقد كانت لهم أسبابهم الخاصة للارتياح بالفلسطينيين ولاستنكار التدخل السوري - وإن كرهوا الإقرار بذلك علناً.

لكن هذه الحجج جميعاً ليست مقنعة تماماً. ففيما يختص بالأمريكيين كانت لديهم أسباب عدة معلومة أو مجهولة، تبعث على القلق حيال السماح لإسرائيل بإنقاذ حسين، مما قد يؤدي إلى الإطاحة بسمعته في العالم العربي إطاحة كاملة. إذ كيف يمكنه أن يطالب بالسيادة على الفلسطينيين في الضفة الغربية لو قبل بمساعدة إسرائيل ضد الفلسطينيين والسوريين في الضفة الشرقية (إذ لو وصلت القوات الإسرائيلية إلى شمال الأردن لمحاربة السوريين، فلا بد من أن تضرب الفدائيين أيضاً) وهل

كان في استطاعة الملك حسين أن يستدعي الإسرائيليين للتدخل في بلده من دون أن يخسر احترام جيشه؟ على كل حال، لم يكن السؤال الحاسم المطروح في واشنطن في ذلك الحين سياسياً، بل عسكرياً. وكما رأينا أعلاه، كانت الحجة التي استخدمها كيسنجر لمصلحة التدخل الإسرائيلي حجة عسكرية، وعلى هذا الصعيد ربما كان على حق؛ فما دام الهدف هو الحيلولة دون انتصار منظمة التحرير وسوريا والاتحاد السوفيتي على حسين، فإن استعداد إسرائيل للقيام بما يلزم أمر مفيد للغاية. أما القول إن الاتجاه المعادي لدى الفلسطينيين والسوريين يعود في المكان الأول إلى إسرائيل، وإلى عدم وجود أي كايح أمريكي يكبح أعمالها، فمضرب من التفكير الشمولي والفلسفي الذي لا يتلاءم وأساليب معالجة الأزمات.

وحتى خلال الأزمات التي كانت أقل خطورة، لم يكن هناك في واشنطن من يدعو إلى التفكير في مثل هذه الأمور. فالأزمة الأردنية، كغيرها من الأحداث، من شأنها فقط أن تثير المخاوف من حدوث أزمات مشابهة في المستقبل (في الخليج على سبيل المثال)، حيث يكون إمكان الاستعانة بإسرائيل أمراً ذا فائدة كبيرة. لكن ذلك يختلف عن الزعم بأن خلق إسرائيل في المكان الأول كان له ما يبرره أو ما يسببه بالنسبة إلى حاجة أمريكا إلى وجود شرطى في المنطقة. فالحجة المستخدمة هي ببساطة أن إسرائيل قد برهنت على فائدتها في السنوات الأخيرة، وأن هذه الفائدة لا يمكن الاستغناء عنها في سبيل الوصول إلى تسوية سلمية على أسس لا ترضى بها إسرائيل، وخصوصاً أن نجاح مثل هذه

التسوية ليس مضمونا على أى حال.

ثمة ترابط وثيق بين القول بأن إسرائيل تشكل تهديرا يمكن احتماله ولها فائدة عسكرية للولايات المتحدة، والقول بأن الصراع العربى - الإسرائيلى هو مثال مصغر للحرب الباردة، حيث يرى كيسنجر أن جميع الأطراف فى الشرق الأوسط أتباع لإحدى الدولتين العظيمتين، ومهما تكن رغبات زعمائهم الحقيقية، أو مدى الصدق والحق فى مواقفهم، فإن نجاحهم أو فشلهم السياسى أو العسكرى ينعكس حتما على مصالح أوليائهم الاستراتيجية سلبا أو إيجابا؛ إذ أن لعامل الهوية والاحترام أهمية قصوى. فلا توجد دولة عظمى فى إمكانها أن تخدم بنجاح مصالح الأطراف المحلية ولا توجد دولة تمنحهم وعودا فارغة وترمى بهم إلى الفشل والخيبة أو تعرضهم للأخطار الداهمة بسبب انعدام حساسيتها وإخلاصها إن الأطراف المحلية كافة تراقب بدقة وتنتقد ما تقوم به كل دولة عظمى من أعمال لمصلحة أتباعها، كما ترى تحالفاتها من منظور قدرة الأولياء على الوفاء بتعهداتهم.

واستنادا إلى هذا المنطق، لا توجد أية أهمية لجدارة المواقف فى الصراع العربى - الإسرائيلى، ولا حتى لمشكلاته الرئيسية، وفى الواقع، فإنه لأمر مثير للاهتمام ألا نجد فى مذكرات كيسنجر أية إشارة، من أى نوع كان، إلى هذه الأمور إذ أن هذه المذكرات لا تستعرض تاريخ الصراع، ولا نجد فيها أية محاولة لتقويم ادعاءات الفريقين وتخيلاتهما، ولا أى تحليل لنفسياتهما أو لأفكارهما الاستراتيجية. ولا نبالغ إذا قلنا إن جل ما يهمه هو موقف كل الفريقين من حيث درجة اعتماده على الاتحاد

السوفيتي أو الولايات المتحدة، وولاؤه لذاك أو هذه. فالهدف الأعلى للولايات المتحدة يجب أن يكون الدفاع عن عملائها واستقطاب عملاء السوفييت. والسبيل إلى ذلك هو: حماية إسرائيل من الضغط السوفيتي ومنحها وسائل تفوق ما يمنحه السوفييت لولاياتهم العرب؛ وتجنب مطالبتها بأية تنازلات لا تستطيع أن تمنحها بإرادتها الحرة والامتناع عن تقديم أي دعم كان لأي عمل سوفييتي إلا بمقدار ما يمكن للولايات المتحدة أن تفعله في سبيل تفكيك روابطه مع موسكو، وبصورة عامة، تلقين العبرة بأن السوفييت يخوضون معركة خاسرة لكسب النفوذ في المنطقة، وأن لدى الولايات المتحدة وحدها ما تقدمه لكل الحكومات وذلك ضمن أولوياتها هي.

ومن خلال هذا المنظار، فإن كل أزمة محلية سرعان ما تصبح امتحاناً للقوة بين الدولتين العظيمةتين، كحرب سنة ١٩٦٧، وحرب الاستنزاف، وأزمة الأردن، وحرب سنة ١٩٧٢، فمحاولات عبدالناصر لتحسين وضع مصر الاستراتيجي على ضفتي قناة السويس، في وجه الغارات الإسرائيلية في العمق سنة ١٩٧٠، توصف بأنها «أسلوب عبدالناصر في ابتزاز الولايات المتحدة باستخدام التهديد السوفيتي»، وهذا عمل «يجب إثبات بطلانه» على حد قول كيسنجر! وفي مكان آخر، يشير كيسنجر إلى «أوهام عبدالناصر التي جعلته يصر على مطالب لا يمكن تحقيقها بسبب المساعدة العسكرية السوفيتية».

ويعمل هذه الروح عالج كيسنجر كل المسائل المتعلقة بالمفاوضات الأمريكية مع مصر وإسرائيل خلال إدارة نيكسون

الأولى، أى خلال فترة حرب الاستنزاف، وخطة روجرز، ووقف إطلاق النار سنة ١٩٧٠، ومفاوضات التسوية المرحلية سنة ١٩٧١، وأخيرا طرد العسكريين السوفييت سنة ١٩٧٢. وكثيرا ما يسخر كيسنجر من تفاؤل وزارة الخارجية الساذج، ومن خوف موظفيها من جرح المشاعر العربية، ومن نظرياتهم غير الصائبة بأن الوضع القائم فى الشرق الأوسط بعد سنة ١٩٦٧ يضر بأمريكا بحيث يتوجب عليها القيام بوساطة فعالة بين مصر وإسرائيل، والضغط على الأخيرة لتقديم التنازلات. وكان رأى كيسنجر أن أمريكا يجب ألا تقوم سوى بأقل قدر ممكن من الأعمال، ما عدا تقديم الدعم لعملياتها والتخلى عن عبدالناصر وأصدقائه كى يتخطوا فى مشكلاتهم.

يقول كيسنجر:

« كان رأى البعض فى حكومة الولايات المتحدة أن نعهد إلى فرض خطة روجرز على الإسرائيليين، لكن الرئيس لم يكن على استعداد للقيام بذلك وهو منهمك فى أزمة لاوس. كما أن هذا الرأى لم يكن صائبا من الناحية الاستراتيجية، فمادامت مصر، فى واقع الأمر، قاعدة عسكرية سوفيتية فلا شىء يدعونا إلى أن ندير الظهر لحليف لنا من أجل مصلحة «عمليل سوفيتية». هذا هو السبب الذى جعلنى أعارض باستمرار تسويات شاملة يرفضها الطرفان ولا تخدم سوى الأهداف السوفيتية، إذ أنها إما تبرهن عن عجزنا وإما تضمن مثالا لما يمكن أن تحصل عليه موسكو من خلال ممارسة ضغطها. وكان هدفى هو شل الحركة حتى نعهد موسكو إلى المطالبة بحل وسط، أو حتى تقر بعض الحكومات

العربية المعتدلة، وهذا هو الأفضل، أن طريق التقدم يمر من خلال واشنطن».

لقد خول الرئيس نيكسون وزارة الخارجية صلاحية اتخاذ المبادرات لبضع سنين، لكنه سمح لكيسنجر أيضا بأن يقنعه بعدم دعم هذه المبادرات، وكانت النتيجة سياسة مضطربة نوعا ما، وهذا الأمر كان يلائم أهداف كيسنجر ملاءمة تامة إذ يقول: «وعند نهاية سنة ١٩٧١، كانت الانشقاقات داخل حكومتنا، ومحاولات وزارة الخارجية المتفانية في السعي وراء أهداف لا يمكن تحقيقها، وانعدام الخيال لدى الاتحاد السوفيتي، قد أدت جميعها إلى شلل في الحركة كنت أسعى له عمدا». ويقول بعد مضي أشهر قليلة: «إن استراتيجيتي لم تتغير. فإلى أن تظهر بعض الدول العربية الرغبة في الابتعاد عن السوفييت، أو يظهر السوفييت رغبة في الابتعاد عن المطالب العربية القسوى، لم يكن هناك أي سبب يدعو إلى تغيير سياستنا».

واستنادا إلى كيسنجر، فإن الشلل في الحركة أدى إلى اقتناع السادات بأنه ليس لدى السوفييت ما يقدمونه له، وبأنهم لا يريدون القيام بأية مغامرة ضرورية لمساعدته في استرجاع الأراضي المصرية المحتلة. وقد تجلى الحذر السوفيتي في البيان المشترك ذي اللهجة الباهتة الذي صدر عن نيكسون وبريجنف بشأن الشرق الأوسط عقب قمة موسكو في مايو ١٩٧٢، لذا فقد قرر السادات أن يقلب رقعة الشطرنج رأسا على عقب، وذلك بطرد المستشارين العسكريين السوفييت.

... لقد دفع الاتحاد السوفيتي ثمننا غاليا في مصر وسائر

أرجاء الشرق الأوسط، لأنه وضع موضوع الشرق الأوسط في
الثلاجة خلال القمة.

ولا ريب أن السوفييت لم يمارسوا مثل هذا التحفظ لأنهم
يؤثرون الغير على أنفسهم، إذ لا جدال في أن قوة إسرائيل كانت
هي الرادع الأساسي، كما كان في تقدير الكرملين أن الحرب قد
تحمل خطر المواجهة المباشرة مع الولايات المتحدة.

وأخيرا، تجدر الإشارة إلى أن فلسفة كيسنجر الأساسية
لم تفسح المجال لأية دبلوماسية من نوع مؤتمر جنيف، الذي
يسعى لمفاوضات سلام شاملة، وهي دبلوماسية سعت لها إدارة
الرئيس كارتر لفترة وجيزة سنة ١٩٧٧. فقد كان إطار الحرب
الباردة الذي يلف صراع الشرق الأوسط يحول دون مثل هذه
الدبلوماسية.

وكانت قناعة كيسنجر أنه ما لم يبد السوفييت رغبة في قبول
أسس الموقف الأمريكي والمواقف الصديقة، ثم الضغط على
حلفائهم للقبول بذلك، أو ما لم يتخل حلفاء السوفييت عن أولياتهم
ويتجهوا صوب الحلول الأمريكية، فإن صيغة المفاوضات الشاملة
مستبعدة كليا. (وعلى الرغم من ذلك، وربما في فترة من
الانحراف عن السياسة المألوفة أو من الخداع، فقد هدّد كيسنجر
إسرائيل ضمنا لفترة وجيزة سنة ١٩٧٥ باتخاذ مثل هذا الموقف،
حين كان يحاول الضغط عليها للقبول بالمزيد من الانسحابات في
سيناء). ومن الواضح أن كيسنجر كان يؤثّر دبلوماسية «الخطوة
خطوة» بحيث كانت الولايات المتحدة تتعامل مع كل طرف عربي
على حدة، فتفاوض من أجل تسوية جزئية تتضمن نوعا من الحل

الوسط مع الموقف الإسرائيلي، وهي عملية أعطت ثمارها طبعاً فيما بعد لأولئك الذين أتوا بعد كيسنجر.

يقول جورج بول - مساعد وزير الخارجية الأمريكية الأسبق وأحد الذين تصدوا لكشف أسطورة كيسنجر - : «إنه ليس من الصعب اكتشاف مواطن الخلل في تحليل كيسنجر للصراع في الشرق الأوسط ولدور أمريكا في هذا الصراع، أنه أولاً : ينحو إلى تجاهل خصائص وزعماء كل بلد عربي، وطبيعة الأفكار العربية العامة، والمطالب المتعلقة بإسرائيل والولايات المتحدة، كما أنه يكاد يتعمى عن الفلسطينيين، وهم في رأيه ليسوا إلا جماعة من مشيري الشعب الذين يجب السيطرة عليهم. لذا لا يكاد يخطر بباله أن علاقات العرب بالاتحاد السوفيتي قد تكون، على الأقل، إحدى دلائل مشكلة فلسطين المعالقة وليس العكس، إن أية مفاوضات أمريكية مع السادات أو الأسد أو عرفات لا تعتمد في نجاحها بالضرورة، على التخلي العربي المسبق عن الروابط مع السوفييت، إن تحقيق التقدم نحو سلام يأخذ بعين الاعتبار الآراء العربية يشكل بحد ذاته، العلاج الشافي للنزعة نحو الراديكالية أو التطرف في منطقة الشرق الأوسط. ثانياً: في حين افترض كيسنجر أن العرب قد يتحولون في النهاية من الاعتماد على الاتحاد السوفيتي إلى الولايات المتحدة، فإنه افترض أيضاً أن العرب الموالين للغرب يملكون صبراً لا ينفد حين يستمر تجاهل اهتمامهم بالقضية الفلسطينية (ناهيك بمصالحهم الذاتية الإقليمية)، وبكلام آخر: إن الصيغة التي وضعها لمكافأة الخروج من المعسكر السوفيتي كانت صيغة مقبولة لدى السادات الذي

حصل على أرضه في مقابل السلام. كما يمكن أن تلاحظ هذه الصيغة زعماء آخرين قد يصلون إلى الحكم يوما ما، لكن ما الذي ينوي كيسنجر أن يقدمه إلى الرأي العربي المعتدل أو المحافظ في المنطقة بأسرها، إذا استمر العرب في طرح السؤال الآتي: لماذا لا تستطيع أمريكا وهي التي تملك معظم الأوراق، أن تعطي شيئا أفضل مما تعطيه إسرائيل طوعا ومن دون إكراه أو ضغوط أمريكية؟

وفي مواجهة استراتيجية كيسنجر في الشرق الأوسط، يطرح السياسي الأمريكي المخضرم جورج بول تصورا آخر للسلام في هذه المنطقة يقوم على أساس أن أي فحص دقيق للمشكلات ولواقف الأطراف من شأنه أن يوضح عدة مسائل:

أولا: إن إصرار إسرائيل المستمر على الاحتفاظ بالأراضي المحتلة يكفل ازدياد الخيبة والعداء عند العرب، ولذا فإنه ينذر بعودة الحرب.

ثانيا: إن دبلوماسية الخطوات العلاجية الصغيرة التي مارستها الولايات المتحدة في عهد كيسنجر، لا تؤدي إلى نتائج حاسمة بل على العكس فإن من شأن الخطوة الجزئية أن تجعل الخطوات المهمة التالية أمرا أصعب منال.

ثالثا: إذا تركت الأطراف على حالها، فلا ينتظر منها أن تتقدم نحو تسوية حقيقية.

ويقول بول إنه بالنظر إلى هذا الوضع الخطر، فإن السلام ممكن فقط من خلال عمل مشترك تقوم به الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، وأن الخطوة الأساسية الأولى هي أن تعمد

الولايات المتحدة إلى صوغ موقف مستقل خاص بها من المشكلات المطروحة، لا أن تترك هذه المشكلات عرضة لمبادرات الأطراف نفسها، وهذا الموقف يجب أن يتضمن الآتي من وجهة نظر الخبير السياسي الأمريكي المخضرم جورج بول.

- ١ - استمرار الدعم الأمريكي لوجود إسرائيل وأمنها.
 - ٢ - الانسحاب الإسرائيلي من جميع الأراضي التي احتلت سنة ١٩٦٧، مع بعض التعديلات الطفيفة.
 - ٣ - الاعتراف العربي الكامل بإسرائيل وإقامة علاقات طبيعية معها.
 - ٤ - نزع الصفة العسكرية عن مرتفعات الجولان والصفه الغربية.
 - ٥ - اعتبار الضفة الغربية ملكا للشعب الفلسطيني، وإفساح المجال أمام الدول العربية والفلسطينيين، بمساعدة الأمم المتحدة، كي يقرروا كيف تحكم هذه المنطقة، استنادا إلى عملية تقرير للمصير يختارونها.
 - ٦ - تسوية مشكلة القدس «بواسطة نوع من أنواع الترتيبات الدولية التي وضعت في شأنها صيغ عديدة».
- هذا التصور بالتحديد ، يختلف جزئياً عن رؤية كيسنجر لأسس السلام العربي الإسرائيلي وهي رؤية منحازة بشكل أعمى لإسرائيل .. بل وتختلف عن التصورات الأخرى التي طرحها سياسيون أمريكيون من أمثال جورج بول وويليام كوانت وغيرهما .. وسبب ذلك ليس له تفسير هو تلك الذاتية التي كانت دائماً تغلب على أفكار ومفاهيم كيسنجر السياسية .



أزمة كيسنجر

حرب أكتوبر

وعملية السلام

في الشرق الأوسط

سياسى

داهية...!

■ كيسنجر أحد أبرز رجالات السياسة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية . وقد أضاف لرصيده جملة إنجازات لعل أشهرها تلك الجولات المكوكية التي قام بها في الشرق الأوسط سعياً لتحقيق تسوية سلمية بين مصر وإسرائيل ■■

يمكن اعتبار هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكي ومستشار الأمن القومي الأسبق أشهر وأهم وزير خارجية للولايات المتحدة ، وقد أثارت شخصيته الكثير من الجدل على الرغم مما حققه من إنجازات ، وقد تنوعت الآراء ووجهات النظر بشأن شخصيته وأفعاله لدرجة أنه يعتبر في نظر البعض بطلاً قومياً ، بينما يعد في نظر البعض الآخر سفاكاً مثامراً على الشعوب المستضعفة ومنتهكاً لحقوق الإنسان .. كان يشق طريقه بمبدأ الغاية تبرر الوسيلة ، بل ويذهب البعض أبعد من ذلك حينما ينادى بمحاكمته كمجرم حرب . ويعتبر كيسنجر ، الحائز على جائزة نوبل للسلام عام ١٩٧٢ ، من أهم الشخصيات التي ساهمت في صياغة السياسة الخارجية الأمريكية دون جدال ومهما اختلفت الآراء حوله ..

وقد حقق أثناء عمله في البيت الأبيض مستشاراً للأمن القومي ووزيراً للخارجية العديد من الإنجازات المهمة مثل . إسدال الستار على حرب فيتنام ، واتفاقية الفصل بين القوات

على الجبهة العربية - الإسرائيلية عام ١٩٧٤ . كما كان مهندس زيارة الرئيس الأمريكى الأسبق ريتشارد نيكسون إلى الصين ، ودعم معاهدة الحد من التسلح مع الاتحاد السوفيتى بالإضافة إلى ابتكاره لسياسة المكوك لتحقيق تسوية سلمية فى الشرق الأوسط بين العرب وإسرائيل .

ولد هنرى كيسنجر فى ألمانيا عام ١٩٢٣ لأسرة يهودية هاجرت إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٢٨ هرباً من الاضطهاد النازى وحصل على الجنسية الأمريكية عام ١٩٤٣ والتحق بالجيش الأمريكى وعمل فى المخابرات واشترك فى الحرب العالمية الثانية - ١٩٣٩ - ١٩٤٥ ، وحصل على منحة دراسية فى جامعة هارفارد عام ١٩٤٦ ودرس العلاقات الدولية وأبدى فيها نبوغاً وتميزاً ثم حصل على درجة الدكتوراه فى العلوم السياسية .

وكان موضوع الدراسة يتصل بالحقبة التى تلت عهد نابليون بونابرت فى أوروبا . وبعد حصوله على الدكتوراه عمل فى مجلس العلاقات الخارجية لولاية نيويورك وقام برئاسة مجموعة من الباحثين الذين قدموا تحليلاً سياسياً للعلاقات الأمريكية السوفيتية مع التركيز على مجال سباق التسلح النووى ، وحقق شهرة واسعة من خلال هذه الدراسة ، ثم عمل عام ١٩٥٧ بجامعة هارفارد باحثاً وأستاذاً مدة ١٢ عاماً ، وأصدر الكثير من الدراسات والبحوث والكتب التى حظيت بشهرة كبيرة وحفظت انتشاراً واسعاً ، ثم شغل منصب مستشار الأمن القومى فى عهد نيكسون فى الفترة من ١٩٦٩ و ١٩٧٣ ، ثم بعد ذلك وزيراً للخارجية .

وقد تميز كيسنجر ، منذ أن كان فتى يهودياً فى ألمانيا النازية إلى أن وصل إلى اليوم حيث يعمل كمستشار عالمى تخطى الثمانين عاماً ، بقدرته على اجتذاب الشخصيات ذات النفوذ والتأثير .

وهذه الموهبة خدمت كيسنجر على نحو جيد كمفتق للمخابرات العسكرية خلال الحرب العالمية الثانية وفى هارفارد حيث حصل على الدكتوراه والاستاذية ، وأيضاً كمخطط استراتيجى للحرب الباردة مما جعله مستشاراً ذائع الصيت للعديد من المؤسسات الحكومية والخاصة ، وقد عمل مع إدارة نيكسون وعائش فضيحة وترجييت ، وربما كان الرأس المدير لها. ولكنه خرج منها سالماً كما اكتسب شهرة واسعة بالإضافة إلى فوزه بجائزة نوبل بسبب دوره المميز والمهم فى التفاوض لوضع نهاية لحرب فيتنام وجهوده عبر دبلوماسية المكوك فى أفريقيا والشرق الأوسط وفى أماكن أخرى .

وعلى الرغم من أن كيسنجر كانت لديه الشجاعة ليعلم أن أولئك المنخرطين فى العمل السياسى يجب عليهم التعامل مع الأشياء المبهمة والتكيف بشكل متواصل مع المتغيرات ، فإن تحجر قلب كيسنجر واستهتاره بالمبادئ قد كلفه الكثير بسبب الاهتمام الأمريكى بحقوق الإنسان والمبادئ الديمقراطية وسيادة القانون الدولى والمبادئ الأخرى .

وفى الوقت الذى شغل فيه كيسنجر منصب وزير خارجية الولايات المتحدة عام ١٩٧٣ ، فإنه أصبح كما يقول استطلاع الرأى الذى أجرته مؤسسة « جالوب » الشهيرة الشخص الأكثر

شعبية في أمريكا وفي العالم ومع ذلك فقد كان كيسنجر مكروهاً من جانب قطاعات عريضة من الشعب الأمريكي تتراوح بين المثقفين الليبراليين والنشطاء المحافظين .

إن هنري كيسنجر أحد أبرز رجالات الخارجية الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية . وهو أضاف لرصيده جملة إنجازات لعل أشهرها . تلك الجولات المكوكية التي قام بها أثناء ولاية الرئيس نيكسون سعيًا ، لسلام الشرق الأوسط ، وبعضهم يعتبر اجتماعاته بزمعلاء المنطقة قبل حرب ١٩٧٣ على أنها جزء من سيناريو شرير للسيطرة على المنطقة . فبحسب هؤلاء لا تزال المنطقة العربية تدفع لغاية اليوم ثمن توريط كيسنجر لها في ترهات ودهاليز وعوذه المفلومة ! .

ومما يزيد الشكوك حول هذا الرجل كونه استراتيجياً ، قيل أن يكون سياسياً . كما أنه صاحب أطروحات فائقة الجرأة والخطورة منها على سبيل المثال المواقف التالية :

- الضرورة الحيوية للتواجد الأمريكي في المنطقة الأورديّة (باكستان وأفغانستان ومحيطهما) . وهي دعوة تعود إلى منتصف الخمسينيات .

- التهديد باحتلال منابع النفط العربية (إبان أزمة وقف النفط العربي) .

- دعوته لإعادة تقسيم الشرق الأوسط وفق مخطط يعرف بمخطط كيسنجر .

- اشتراكه في إعداد تقرير « بارد » الداعي لاعتبار السعودية دولة عدوة راعية للإرهاب بما يستدعي توجيه

ضربة لها تعقبها ضربة لإيران (بعد أحداث أفغانستان وأثناء الدعوة لضرب العراق) .

ومهما كان موقفك من هذا اليهودى المتعاطف كلياً مع إسرائيل فإن عليك الاعتراف بأنه يملك كمّاً هائلاً من المعلومات ومعايشة ومعاينة العديد من الأحداث المفصلية التى ستترك آثارها على العالم لعقود قادمة .

ومن السذاجة يمكن أن ننتظر عرض كيسنجر للحقائق فى مذكراته . لكننا نجد فيها نوعاً من قائمة النصائح المثالية . ولكن ماذا عن جرائم الحرب والعمليات السوداء التى أشرف عليها هذا السياسى الداخلىة ؟

لعلنا نجد الإجابة عن هذا السؤال فى كتاب « محاكمة كيسنجر » لمؤلفه كريستوفر هيشنز الذى يضىء جوانب أخرى للحقيقة التى لم تعد خافية على أحد . بعد عمر من الجرائم التى ارتكبتها السياسة الأمريكية بحق شعوب العالم منذ قبلة هيروشيما مروراً بحرب فيتنام وحصار كوبا وصولاً إلى ضرب العراق وأفغانستان .

والكتاب يتناول جرائم الإبادة الجماعية التى تبين تجاهل الدبلوماسية الأمريكية للعواثيق والأعراف الدولية ، ولطالما كشفت الوثائق السرية تورط الساسة الأمريكيين الكبار بجرائم منظمة ضد الشعوب الأخرى . مما يلغى أية مصداقية للخطب والمبادئ التى تنادى بها الإدارة الأمريكية فيما يتعلق بقضايا الديمقراطية وحقوق الإنسان . مثلها فى ذلك مثل حليفاتها الاستراتيجية إسرائيل . وكان هاتين الدولتين فوق القانون .

والعمليات السوداء والافتغيات التى شارك فيها هنرى كيسنجر إما بالتخطيط لها أو دعمها مادياً ومعنوياً باعتباره مستشاراً للأمن القومى ووزيراً للخارجية فى عهدى الرئيسين نيكسون وفورد ، حين كان المسئول الأول فى « لجنة الأربعين » وهى هيئة شبه سرية ، عملاقة وأخطبوطية ، قامت بالإشراف المطلق على العمليات القذرة فى الخارج بين ١٩٦٩ و ١٩٧٦ من القرن العشرين على حد تعبير المؤلف كريستوفر هيشنر .

ويعترف هيشنر بأنه أحد خصوم كيسنجر السياسيين ، ومع ذلك فقد كان مضطراً لحذف الكثير من المادة المخزية التى توافرت بين يديه والإبقاء فقط على الإساءات الكيسنجيرية التى تشكل قاعدة أساساً لمساءلة قانونية وقضائية ، أى ما يمكن اعتباره جرائم حرب فى العرف الدولى ، وهكذا تجاهل الكاتب مثلاً تجنيد كيسنجر لأكراد العراق ثم خيانتة لهم ، والتغطية السياسية والعسكرية والدبلوماسية لسياسة التمييز العنصرى فى جنوب أفريقيا واكتفى بجرائم القتل الجماعى المتعمد للسكان المدنيين فى الهند الصينية وبنجلاديش وتيمور الشرقية ، والتخطيط والتخريض على قتل مسئولين دستوريين فى دول ديمقراطية مثل تشيلى وقبرص ، كذلك الثورط فى خطة لاخطاف وقتل صحفى يونانى معارض يعيش فى واشنطن ويتمتع بالحماية الأمريكية وأن كيسنجر كان أحد العملاء السريين الذين عملوا عام ١٩٦٨ على تخريب مفاوضات السلام التى كانت جارية فى باريس بين فيتنام الجنوبية والشمالية وذلك بالتاكيد للحكام العسكريين فى فيتنام الجنوبية أنه إذا وصل الحزب الجمهورى

الامريكى إلى السلطة فسوف يقدم صفقة أفضل من تلك التى يقدمها لهم الحزب الديمقراطى ، مما أدى إلى انسحاب الطفحة الفيتنامية الجنوبية من المحادثات ، الأمر الذى أسفر عن تلك الحرب المدمرة التى دامت لمدة أربع سنوات ، وراح ضحيتها عشرون ألف جندي أميركى وعدد لا يحصى من الفيتناميين واللاوسيين والكمبوديين دون أى مبرر ، والتى انتهت بنفس بنود محادثات السلام فى باريس قبل ذلك ، إن هؤلاء الضحايا كانوا ثمن ترقية هنرى كيسنجر من شخص عادى وجامعى انتهازى ليصبح ملكاً دولياً وكانت سماته الميزة حاضرة من اللحظات الأولى التى تولى فيها منصبه . التعلق والازدواجية وعبادة النفوذ ، والنتائج الميزة كانت حاضرة أيضاً: جثث لا تعد ولا قيمة لها ، كذب رسمى وغير رسمى فيما يتعلق بالثمن . أما فيما يخص جريمة بنجلاديش ففى عام ١٩٧٠ سمحت الحكومة العسكرية الباكستانية بإجراء أول انتخابات حرة فى باكستان الشمالية ، التى تعرف بالجناح البنغالى لدولة باكستان الشرقية المعروفة لسكانها الأصليين باسم بنجلاديش . وقد فاز بالتصويت الشيخ مجيب الرحمن رئيس رابطة عوامى المتمركزة فى البنغال ، وفى العام التالى أقدم الجيش الباكستانى على ضرب العاصمة البنغالية دكا واختطاف رئيسها ونقله إلى باكستان الغربية ، وذبح مؤيديه وطرده الصحافة الأجنبية . وارتكاب الكثير من المجازر بحق المدنيين ، وفى ذروة هذه المجازر الجماعية التى نفذت بأسلحة ودعم أمريكى بعث كيسنجر برسالة إلى اللواء يحيى خان يشكره فيها على حسن كياسته وبراعته بصورة أكثر

دموية . وتكررت المأساة في دولة مستقلة كانت تعتبر مثالا للديمقراطية والتعددية في أمريكا اللاتينية هي شيلي ، فما أن فاز مرشح اليسار د. سلفادور الليندي بانتخابات حرة في عام ١٩٧٠ حتى بدأ الدور المستمر لإدارة نيكسون وكيسنجر في التدمير الاقتصادي والسياسي وزعزعة الاستقرار وصولاً إلى الانقلاب العسكري الدموي عام ١٩٧٣ الذي راح ضحيته الليندي وأهم حكم ديمقراطي في الأمريكيتين وآلاف الضحايا المدنيين ، وليس من داع هنا للاستطراد في ذكر ضحايا بينوشيه ديكتاتور شيلي الذي كان كيسنجر بنفسه يدعم ويمول سياسته القمعية . كارثة قبرص عام ١٩٧٤ لا تقل مأسوية عن سابقتها ، حيث تم خلع الرئيس الدستوري مكاريوس وقتله ، وقد كان كيسنجر على علم مسبق بالخطة التي نفذها الديكتاتور اليوناني ديميتريوس إيونيديس ، رئيس الشرطة السرية ، للقضاء على الحكم الديمقراطي في قبرص ووضعها تحت هيمنة أثينا . جريمة أخرى حدثت في تيمور الشرقية الواقعة على الأرخبيل الأندونيسي ، التي حكمتها بعد استقلالها من البرتغال عام ١٩٧٤ حركة يسارية تعرف باسم قريتلين أو جبهة تحرير تيمور الشرقية ، وكانت الجبهة ذات ميول يسارية وامتدت شعبيتها من الكنيسة وحتى طلاب الجامعة ، فما كان من القوات الأندونيسية إلا أن اجتاحت الحدود وضمت تيمور لها في عام ١٩٧٥ أثناء حكم سوهارتو ، وقد كان كيسنجر في أندونيسيا قبل يوم من الاجتياح وباركه ودعمه بعد ذلك بكل السبل . إن الحقائق والأرقام تثير التساؤل والقلق الحاد حول مستقبل البشرية برمتها ، إذ كيف يمكن

لشخص مثل كيسنجر ارتكب كل هذه الجرائم الفظيعة بحق الدول والشعوب الأخرى ، أن يظل حراً طليفاً حتى يومنا هذا وينال جائزة نوبل للسلام ويعين مؤخراً رئيساً للجنة المعنية بمكافحة الإرهاب في العالم ، وإذا كان أمر كيسنجر وشركائه قد افترض أخيراً بعد الإطلاع على مذكرات كيسنجر الشخصية التي باعها لمكتبة الكونجرس على أن تظل مخشومة إلى ما بعد موته ، وإذا كانت الصدفة وحدها هي التي أدت إلى افتضاح هذه المذكرات ، فهل بإمكاننا أن نتصور عدد المجرمين الآخرين الذين يتمتعون بالحصانة الكاملة ويقودون السياسات الأمريكية وينصبون أنفسهم أسياداً على عالمنا الذي بات يفتنق حقاً تحت وطأة فظاعتهم؟! .

وخلال مسيرته السياسية الممتدة لنصف قرن سخر كيسنجر كل قواه الاستراتيجية السياسية « جيو بوليتيكس » ، وهذا المصطلح الغامض ابتدعه السير البريطاني « هالفارد ماكيندر » في مطلع القرن العشرين ، وساهم مساهمة فعالة في إشعال الحرب العالمية الأولى .

وقد طور هنري كيسنجر استراتيجياته « الجيوبوليتيكية » معتمداً على السياسات المضادة للثورة الأمريكية التي خلقها اللورد « كاستيلريا » البريطاني والأمير النمساوي « ميترنيخ » في مؤتمر فيينا عام ١٨١٥ : حيث يمتدح كيسنجر نفسه هذه السياسات في رسالته للدكتوراه A World Restored عدا ذلك ، فإن مصدر إلهامه الرئيسي كان ناشأ من وزارة الخارجية البريطانية (باعتبارها تمثل تراثاً استعماريّاً) ، كما أعلن هو

نفسه ذلك مراراً فى خطبه ومحاضراته .

يجتر كيسنجر ولعه « بالتفكير الجيوبوليتيكي » الذى يدعى أنه قد تم إهماله أثناء إدارة الرئيس كلينتون ، ويتم إحيائه الآن فى عهد الرئيس جورج بوش الابن . فهو يجاهر بأن « الجيوبوليتيك لم يختف بعد كجزء من السياسات العالمية » ، ويطرح « استراتيجيات جيوبوليتيكية » لآسيا وروسيا وأجزاء أخرى من العالم . مع ذلك فالعلم الاستراتيجى المحترف كيسنجر يشعر بالذعر لأن النظام الاقتصادى العالمى يتأرجح بدون سيطرة ، وأن ذلك سيحول جميع مخططاته الكبرى إلى حطام . فهو لا يخفى فزعه من أن هذه الأزمة ستدفع دولاً مثل البرازيل فى أمريكا الجنوبية وجنوب أفريقيا وآسيا إلى قلب « شروط اللعبة » ، وهى شروط تمكن هو ورفاقه فى المؤسسات المالية - السياسية الانجلو أمريكية من فرضها على العالم منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية .

فى مثل هذه الحالة النفسية والعقلية ، لا يكون أمام كيسنجر إلا الحل الوحيد الذى طالما لجأ إليه فى الأوقات العصيبة ، وهو : إشعال حرب وتأسيس نظام دكتاتورى عالمى ، لإدارة الأزمة ، أما بؤرة اهتمام هذه النية الحربية ، فهى كالعادة الوضع المتفجر فى « الشرق الأوسط » .

قد لا تكون هذه المسألة ذات أهمية إن كان كيسنجر يتحدث بصفته الشخصية فحسب ، فالحالة النفسية التى يكتب فيها كيسنجر مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالتطورات الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية العالمية التى تبرز اليوم ، كيسنجر يتحدث بالنيابة

عن شبكة تمتد من داخل إدارة بوش الحالية وإلى طبقات عليا في بنوك نيويورك ومؤسساتها المالية . فمسيرته السياسية لم تكن يوماً ملكه هو . ومنذ البداية كان من اقباع البروفيسور « وليام ياندل إليوت » الأستاذ في جامعة هارفارد وعاشق إنجلترا الإمبريالية . لذلك فعندما يتحدث كيسنجر أو يكتب، فإن ذلك يعنى أن « لجنة » أنجلو أمريكية ذات تأثير من نوع ما تعبر عن نفسها .

من البدايات الأولى يبين كيسنجر قلقه من الوضع الاقتصادي العالمى . ويتناقض هذا القلق مع محاولاته كبل المديح للعولة وطبيعة القوة الأمريكية التي لا تقهر . فيحذر قائلاً : « إن الأزمة الاقتصادية العالمية هي أكبر تهديد للديمقراطية المعاصرة » . ثم يضيف : « إن وقوع أزمة مالية مهمة أخرى في آسيا أو في الديمقراطيات الصناعية ، سيعجل بالتأكيد جهود دول أسيوية للحصول على سيطرة أكبر على مصائرنا السياسية والاقتصادية عن طريق خلق بديل أسيوى للنظام الإقليمى الحالى » .

إن بروز كتل أسيوى معاد يضم مزيجاً من أكثر دول العالم كثافة بالسكان (الصين والهند) وأكثرها وفرة في الموارد الطبيعية (روسيا وآسيا الوسطى) وأكثرها تقدماً من الناحية الصناعية (اليابان) لن يكون في المصلحة القومية لأمريكا . فهو يشعر بالقلق من احتمال ظهور دعم متزايد لسياسات الحماية الاقتصادية التي تتبعها ماليزيا والصين والهند ، وكلها دول قاومت إعصار « الأزمة الآسيوية » بشكل أحسن من تلك الدول التي رضخت لوصفات صندوق النقد الدولي .

ويذكر كيسنجر الازمات الاقتصادية المتتالية فى السنين الأخيرة فى روسيا والبرازيل والأرجنتين وإكوادور و... إلخ ، ويقول : « كم من هذه الازمات الطاحنة بإمكان النظام العالمى تحملها دون خلق كوارث اجتماعية وسياسية ؟ ماذا سيحصل إذا أضفنا ركوداً أمريكياً إلى المعادلة .. عندما يكون النمو العالمى متكللاً كل هذا الاتكال على أداء الاقتصاد الأمريكى ، سيؤدى إلى هبوط طالت مدته أو قصرت إلى نشر الخراب فى أرجاء النظام المالى والسياسى العالمى .. فالغيوم السوداء المتراكمة فوق سماء العولة هى تهديد بتفكك عالمى لنظام السوق الحر تحت الضغط جالباً معه كل المخاطر التى قد تلحق بالمؤسسات الديمقراطية .. فالنظام المالى العالمى بحاجة إلى تقليص مدى تقلبه وأن يتعلم كيفية امتصاص تأثيرات الازمات بشكل أكثر فاعلية .

فى هذا السياق يدلنا هوس كيسنجر بالجيوبوليتيك إلى أنه وأصدقائه يبحثون عن حرب . وتزداد الشكوك فى ذلك حين يكتب أن « الصراعات فى الشرق الأوسط تشابه إلى حد بعيد الصراعات الأوروبية فى القرن السابع عشر .. (لكن) مبادئ دبلوماسية السلام الويستفالية لا تنطبق على الوضع فى الشرق الأوسط » إن ما يشير إليه هنا هو معاهدة سلام « ويستفاليا » التى أبرمت فى عام ١٦٤٨ وأضعة بذلك حداً « لحرب الثلاثين سنة » الديفية التى استمرت من عام ١٦١٨ إلى ١٦٤٨ فى أوروبا ، بعد أن خلفت دماراً شاملاً فى معظم أرجاء القارة . وقد أصبحت معاهدة ويستفاليا على وضع أساس جديد للشرعية الدولية يتمحور حول الاعتراف بالسيادة المطلقة للدولة القومية وعقد

اتفاقيات تخص التسامح الدينى بين تلك الدول ورفض مبدأ التار والقصاص فى الحسابات السياسية .

ومع تأكيد كيسنجر أن « مبادئ دبلوماسية السلام الويستفالية » لا يمكن تطبيقها فى الشرق الأوسط ، وإصراره على « تشابه » حالة الشرق الأوسط مع أحوال حرب الثلاثين عاماً الأوروبية فى القرن السابع عشر ، فإن ما يقوله كيسنجر فى واقع الأمر هو أن وقوع حروب جديدة أمر لا مفر منه ، بل ومرغوب أيضاً .

وبالرغم من أن نظرة كيسنجر إلى مستقبل آسيا ليست بنفس قسوة وصراحة نظرته إلى الشرق الأوسط لكن النظرة الكيسنجرية تقول إن الحرب تلوح فى أفق آسيا أيضاً . فهو يشبه الوضع فى آسيا اليوم بالوضع فى القرن التاسع عشر . فآنذاك كانت السياسة الناجحة الوحيدة هناك هى سياسة « موازنة القوى » التى مارستها الإمبراطورية البريطانية . لذلك على الولايات المتحدة اليوم ممارسة سياسات « موازنة القوى » لمنع ظهور « تجمع مناهض » لأمريكا فى آسيا ، أو فى أوراسيا عموماً .

يقول كيسنجر : « إن بالإمكان مقارنة علاقة أمريكا بآسيا اليوم بعلاقة بريطانيا بقارة أوروبا خلال أربعة قرون » . ثم يقتبس بسخاء من كتاب ونستون تشرشل « العاصفة القادمة » الصادر عام ١٩٤٨ : « خلال ٤٠٠ عام ، كانت السياسة الخارجية لإنجلترا مبنية على التصدى للقوة القارية الأكثر قوة وشراسة وهيمنة » . وتشمل هذه الحقبة كما يشدد تشرشل على ذلك حملات اللورد مالبرو (أحد أسلاف تشرشل)

ضد القارة وحروبه التي خاضها ضد فرنسا ، وتشمل أيضاً الحرب العالمية الأولى .

وإذا قارنا ظهور التحالف الأوراسيوى بين الصين ودول آسيوية أخرى وروسيا وبعض الدول الإسلامية من جهة وعملية التعبئة الجارية للأساطيل الأمريكية والبريطانية لدق إسفين فى وسط القارة الأوراسيوية من جهة أخرى ، فإن الصورة ستتضح أكثر فى ضوء ما يقوله كيسنجر . فالقضية التى تهم كيسنجر ومن يستمع إلى استشاراتِهِ هى منع ظهور بديل سياسى - اقتصادى حقيقى وقوى على هذه القارة الشاسعة يستبعد أمريكا وبريطانيا عندما ينهار نظام العولة المالى والنقدى الذى تسيطران عليه .

فليس أمام الولايات المتحدة سوى الحرب لاسترداد سيطرتها وهبتها . وتحولها إلى إمبراطورية كونية « لا تحتاج إلى سياسة خارجية » أو دبلوماسية . وقد قدمت عملية ضرب مركز التجارة العالمى والبنتاجون يوم ١١ سبتمبر ٢٠٠١ الذريعة المناسبة للقيام بذلك . فكل من ينظر إلى حجم التعبئة العسكرية والسياسية التى تقوم بها أمريكا يدرك أن القضية أكبر من « أسامة بن لادن » و« طالبان » و« صدام حسين » إنها « حرب .. طويلة .. طويلة .. !! »



أمة كاسبر

حرب أكتوبر

وعمليّة السلام

في الشرق الأوسط

السياسة الأمريكية

■ في حرب يونيو ١٩٦٧ أثبت سير الأحداث أنه ما من شك حول حصول إسرائيل على ضوء أخضر أمريكي لشن حرب خاطفة ضد الدول العربية بهدف توسيع رقعة الدولة اليهودية وايضاً لإحداث شرخ في المد القومي العربي بالمنطقة . ■

منذ أكثر من نصف قرن ، كان الصراع العربي - الإسرائيلي ، ولم يزل يمثل التحدي الرئيسي لقومات الوجود القومى العربى . حيث اتخذ الصراع ومنذ بدايته ، أبعاداً إقليمية ودولية عديدة ، فتباينت مواقف الأطراف داخله ومواقف القوى الدولية المرتبطة به . ولما كان الدور الأمريكى دوراً أساسياً فى الصراع منذ الحرب العالمية الثانية ، وسيبقى - على ما هو فى ظل المتغيرات الدولية والنظام العالمى الحالى ، فإن المزيد من التفهم للسياسة الأمريكية تجاه الصراع العربى - الإسرائيلى يصبح مهماً وحيوياً .

لم تستطع الحركة الصهيونية الحصول على قرار دعم خلال فترة الرئيس الأمريكى روزفلت ، الذى كان قد أعطى وعداً للملك عبد العزيز آل سعود بالآلا يأخذ قراراً تجاه المسألة العربية - الإسرائيلية .

وبعد أسابيع من وفاته تحركت المنظمة الصهيونية فوراً من أجل استبدال قرار روزفلت . حيث تمكن أحد مسئولياها ويدعى

(إيمانويل سلر) من إقناع الرئيس ترومان أنه ما لم يقدم الدعم للسياسة الصهيونية والاعتراف بدولة (إسرائيل) فإن اليهود سوف يصوتون للجمهوريين من خلال المساهمة في إنتاج حملة منافسة (ديوى) الانتخابية .

ولما كان ترومان هو الأضعف فى الانتخابات التمهيدية الفصلية لعام ٤٦ ، لم يكن له من سبيل للوصول إلى البيت الأبيض إلا بتنفيذ شروط المنظمة الصهيونية ، وهذا ما تم فعلاً فى مارس ١٩٤٧ ، أعلن الرئيس هارى ترومان مبداء الذى ينص على التدخل المباشر للولايات المتحدة فى أوروبا والشرق الأوسط بهدف تقديم المساعدة العسكرية والاقتصادية للحكومات الموالية لها ضد السياسة السوفيتية ، إضافة إلى قراره الذى يقضى بتأييد تقسيم فلسطين وإنشاء (دولة إسرائيل) فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ .

ولكى تحقق الولايات المتحدة أهدافها فى الشرق الأوسط ، سعت إلى ربط بلدان المنطقة بسياسة الأحلاف ، التى صممها وزير الخارجية الأسبق دالاس فى مطلع الخمسينات .

مبدأ أيزنهاور

كان دوايت أيزنهاور هو الرئيس الرابع والثلاثون للولايات المتحدة الأمريكية ، عن الحزب الجمهورى ، خلال الفترة ١٩٥٣ - ١٩٦١ .

وقبل ذلك كان جنرالاً فى الجيش الأمريكى ، وهو المهندس الرئيسى لاجتياح الحلفاء لأوروبا خلال الحرب العالمية الثانية ، الذى أفضى فى المحصلة إلى هزيمة ألمانيا النازية .

وخلال وجوده في البيت الأبيض ، كرئيس للولايات المتحدة الأمريكية ، أنهى أيزنهاور الحرب الكورية . وفترتا رئاسته (١٩٥٣ - ١٩٦١) لم تحملا أية سمات مميزة على الصعيد السياسي الخارجية ، حيث اعتبرت رئاسته فترة هادئة على هذا الصعيد ، مع ذلك فقد ارتبط اسم أيزنهاور بالشرق الأوسط ، والعالم العربي ، من خلال المبدأ المعروف باسمه ، وهو مبدأ أيزنهاور .

يتجسد هذا المبدأ في الإعلان الصادر عن الكونجرس الأمريكي في عام ١٩٥٦ ، الذي حدد الإطار العام للاستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط في المرحلة التي أعقبت العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ مباشرة ، والذي هدف أساساً إلى احتواء التمدد السوفيتي باتجاه المنطقة . وتضمن الإعلان العناصر التالية :

١ - تفويض الرئيس الأمريكي سلطة استخدام القوة العسكرية في الحالات التي يراها ضرورية لضمان السلامة الإقليمية ، وحماية الاستقلال السياسي لأي دولة ، أو مجموعة من الدول في منطقة الشرق الأوسط ، إذا ما طلبت هذه الدول مثل هذه المساعدة لمقاومة أي اعتداء عسكري سافر تتعرض له من قبل أي مصدر تسيطر عليه الشيوعية الدولية .

٢ - تفويض الحكومة في تفويض برامج المساعدة العسكرية لأي دولة أو مجموعة من دول المنطقة إذا ما أبدت استعدادها لذلك ، وكذلك تفويضها في تقديم العون الاقتصادي اللازم لهذه الدول دعماً لقوتها الاقتصادية وحفاظاً على استقلالها الوطني .

كيندى وعبد الناصر :

كان جون كيندى هو الرئيس الخامس والثلاثون للولايات المتحدة الأمريكية ، خلال الفترة (١٩٦١ - ١٩٦٢) ، عن الحزب الديمقراطى .

ويعتبر كيندى أصغر رئيس منتخب للولايات المتحدة الأمريكى .

ورغم قصر فترة رئاسته نسبياً ، التى امتدت لأقل من ثلاث سنوات فقط ، على إثر اغتياله فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٢ فى مدينة دالاس بولاية تكساس ، يعتبر كيندى رائد إطلاق برنامج الفضاء الأمريكى .

أما على صعيد الشرق الأوسط ، فقد شهدت فترة رئاسة كيندى محاولات للانفتاح على البلدان العربية ، ولا سيما مصر فى عهد الرئيس جمال عبد الناصر . وهناك اتصالات عديدة تمت بين الزعيمين وكان من الواضح أن هذه الاتصالات ربما تؤدى إلى فتح صفحة رائجة من العلاقات المصرية - الأمريكية . فقد كان هناك احترام متبادل بين عبد الناصر وكيندى ، ولم يكن كيندى من أولئك الرؤساء الأمريكىين الذين خضعوا تماماً للتفوذ الصهيونى وربما كان هذا هو أحد أسباب اغتياله ، والدليل على ذلك أن خليفته ليندون جونسون قد سار فى اتجاه معاكس تماماً بالنسبة للشرق الأوسط وكأنه تعلم درس جون كيندى . ولا شك أن الدور القامرى الذى لعبه جونسون مع إسرائيل فى عدوان يونيو ١٩٦٧ كان أحد ثمار هذا الدرس .

كذلك شهدت هذه الفترة الأزمة الأخطر على صعيد الحرب

الباردة ، التي تمثلت فيما عرف بأزمة الصواريخ الكوبية في عام ١٩٦٢ . في المقابل ، فقد تم في عام ١٩٦٢ التوقيع ، مع كل من الاتحاد السوفيتي وبريطانيا ، على معاهدة لحظر التجارب النووية في الجو ، كأولى اتفاقيات الحد من التسلح في ظل الحرب الباردة .

حرب يوتيو (الضوء الأخضر) :

ولقد أثبت سير الأحداث ، إنه ما من شك ، حول حصول (إسرائيل) على (ضوء أخضر) أمريكي لشن حرب خاطفة ضد الدول العربية ، بهدف توسيع رقعة (دولة إسرائيل) من جانب ، ومحاولة ضرب وشرخ المد القومي العربي في المنطقة من جانب آخر . حيث وجهت إدارة جونسون إلى الرئيس جمال عبد الناصر إنذاراً تضمن البنود التالية :

أولاً : خروج مصر من الصراع العربي - الإسرائيلي .

ثانياً : تصفية الاتحاد الاشتراكي العربي .

ثالثاً : إدخال نوع من التنظيم على الإدارة وتحديد عدد الموظفين بـ ١٨٠ ألفاً .

رابعاً : تحديد عدد الجيش المصري بـ ١٥٠ ألفاً .

خامساً : إلغاء التأميم وإنهاء القطاع العام .

وحول (الضوء الأخضر) الأمريكي ، يقول وايم كوانت عضو مجلس الأمن القومي الأمريكي السابق إنه (في ٢٦ مايو ١٩٦٧ توجه أبا اييان وزير خارجية إسرائيل إلى البنتاجون ، حيث أبلغه القادة العسكريون ، أن الإسرائيليين سوف يكسبون بسرعة) . بيد أن الأمر المهم في هذا الخصوص ، هو تلك الزيارة

السرية التي قام بها ماثير عميت ، مدير المخابرات الإسرائيلية إلى واشنطن في ٣٠ مايو ، وقد تلقى انطباعاً من روبرت ماكنمارا وزير الدفاع الأمريكي ، وريتشارد هيلمز مدير وكالة المخابرات بأنه (إذا تصرف إسرائيل بنفسها وحققت انتصاراً حاسماً ، فلن ينزعج أحد في واشنطن من ذلك) .

هذا بالإضافة لما أشار إليه المسئولون الأمريكيون في أحاديثهم الخاصة ، حول الظروف السياسية التي يمكن لإسرائيل بموجبها أن تحتفظ بالأراضي التي تستولي عليها من دون الإضرار بالمصالح الحيوية للولايات المتحدة في المنطقة .

وهناك نقطتان حاسمتان في الموقف الأمريكي ، الأولى ، هي عدم تكرار خطأ العدوان الثلاثي ، حيث أدت مشاركة بريطانيا وفرنسا في الحرب إلى تدويل النزاع وتحويله إلى قضية عالمية صاخبة ، والثانية تقديم الدعم لدولة إسرائيل ، والضمان بأن الولايات المتحدة لن تتدخل لإرغامها على التخلي عن الأراضي المحتلة كما حدث في عام ١٩٥٧ إلا في ظل شروط أمريكية - إسرائيلية مشتركة وقاسية .

وقد قامت السياسة الأمريكية بعد وقف إطلاق النار على ضرورة التوصل إلى تسوية للصراع العربي - الإسرائيلي بمعزل عن العودة إلى ترتيبات الهدنة المؤقت التي تم اتخاذها في عام ١٩٥٧ . حيث كان قرار مجلس الأمن ٢٤٢ الركيزة الجديدة في السياسة الخارجية الأمريكية ، التي تؤكد ضرورة الربط بين الانسحاب والتسوية النهائية فقد تأكدت هذه السياسة في خطاب الرئيس جونسون في ١٩ يونيو ٦٧ ، حيث عرض الشروط

الثابتة ، بدءاً من السلام مع إسرائيل ، مروراً باشتراط قطع معين للتنمية والابتعاد عن السوفييت وانتهاء بتشكيل الأحلاف الإقليمية والثنائية لخدمة وضمان المصالح الأمريكية في المنطقة .

نيكسون والصراع ،

وبعد توليه مهام الرئاسة ، سعى ريتشارد نيكسون إلى وضع إطار عام يحدد اتجاه سياسته الخارجية ، عرف فيما بعد باسم (مبدأ نيكسون) ، ومع أن القضية الفيتنامية شكلت قمة أولويات إدارته ، إلا أن الرؤية الأمريكية لم تتغير بصفة عامة حول الصراع العربي - الإسرائيلي ، حيث لخص نيكسون الموقف الأمريكي لتسوية الصراع في تقريره لعام ١٩٧١ على أساس :
أولاً : تعهد البلدان العربية بقبول التزامات محددة في اتفاقية سلام مع إسرائيل .

ثانياً : تعهد إسرائيل بالانسحاب من أراضٍ محتلة كجزء من اتفاقية سلام ملزم يقيم حدوداً آمنة ومعترفاً بها .

ثالثاً : دخول الطرفين في عملية مفاوضات للاتفاق على الشروط والبنود التفصيلية للتسوية . وعندما انعقد مؤتمر قمة موسكو في مايو ١٩٧٢ ، أرفقت بالبيان الختامي للمؤتمر (مبادئ عامة) تخص منطقة الشرق الأوسط لم تات بجديد فيما يتعلق بالتسوية . وما عدا الصياغة الجديدة التي تقدم بها وزير الخارجية السابق هنري كيسنجر ، الخاصة بالفصل بين السيادة والأمن ، لم يكن هناك أي تغيير في الرؤية الأمريكية ، التي بقيت تحكم الموقف الأمريكي حتى حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

وكانت حرب أكتوبر سنة ٧٣ ، بمثابة الصدمة المباشرة للإدارة

الأمريكية التي لم تقم وزناً ، أو اعتباراً لإرادة الدول العربية ودورها الحضارى فى منطقة الشرق الأوسط .

فقد كشفت هذه الحرب عن عجز الأداء العسكرى الإسرائيلى ، الذى أثار شكوك الإدارة الأمريكية فى كون (إسرائيل) تمثل كنزاً استراتيجياً فى المنطقة .

ودفع ذلك إدارة نيكسون ، إلى اتخاذ قرار فرض وقف إطلاق النار ، الذى كان ثمنه انسحابات فك الارتباط الإسرائيلية فى سيناء والجولان ، بالتزامن مع قيام الجسر الجوى الضخم لإنقاذ (إسرائيل) من سقوطها المحتمل .

وعلى قاعدة هذه الوقائع ، بدأ كيسنجر جولاته المكوكية مع التلميح بالتدخل العسكرى وفق أولوياته .

● إنهاء الحظر النفطى العربى .

● توقيع اتفاق فك الاشتباك .

كارتر وخيار كامب ديفيد :

بعد فشل محاولات التسوية الشاملة للصراع العربى - الإسرائيلى ، وقيام الرئيس السادات بزيارة القدس فى نوفمبر ١٩٧٧ ، عملت إدارة كارتر على تكييف سياساتها مع المعطيات الجديدة فى تطور الصراع ، فأهملت جهدها السابق بشأن استئناف مؤتمر جنيف .

وبدلاً من ذلك وضع مستشار الرئيس لشئون الأمن القومى ، سياسة تقوم على ثلاث دوائر أهمها الدائرة الأولى التى تضم كلا من مصر وإسرائيل والولايات المتحدة تلك السياسة التى انضمت إلى توقيع اتفاقيات (كامب ديفيد) ، ومن ثم معاهدة السلام

المصرية - الإسرائيلية في ٢٦ مارس ١٩٧٩ ، حيث كشفت عن حقيقة الرؤية الأمريكية تجاه (تسوية النزاع) ، التي ظلت تتمحور حول قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، وفق التفسير الأمريكي الإسرائيلي لذلك القرار .

من ريجان إلى كلينتون ،

لم تتغير السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي - الإسرائيلي كثيراً في عهد إدارة ريجان ، بل تطورت في تصاعد نتيجة سياسة (الإجماع الاستراتيجي) ، كأساس للدفاع عن الحليف الأساسي في المنطقة والمتمثل في (دولة إسرائيل) ، تلك السياسة التي اقترحها وزير الخارجية الأمريكي الكسندر هيج ، التي تمت ترجمتها من خلال توقيع اتفاق التعاون الاستراتيجي بين واشنطن وتل أبيب لعام ١٩٨١ .

وقد انعكست هذه الحقيقة من خلال الموقف الأمريكي تجاه الغزو الإسرائيلي للبنان في يونيو ١٩٨٢ ، إذ لم تبد إدارة ريجان استعداداً لممارسة أي ضغوط لوقف العدوان الإسرائيلي على لبنان .

والقد حددت مبادرة ريجان (الموقف الأمريكي بوضوح ، حيث أكدت المبادرة الالتزام الأمريكي بأمن (إسرائيل) ، وتأييد حقها في حدود أمنة ، وربطت بين الانسحاب الإسرائيلي وبين إقامة سلام وتطبيع العلاقات مع (إسرائيل) كذلك أكدت المبادرة على ما جاء في اتفاقيات كامب ديفيد من إقامة حكم ذاتي للفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة .

ومع مجيء جورج بوش الأب إلى سدة الحكم في رئاسة البيت

الابيض ، لم تعد (إسرائيل) مجرد حليف أساسي في الشرق الأوسط بل وشريك أساسي للولايات المتحدة ، حيث شكل التدخل الأمريكي المباشر في حرب الخليج الثانية ، الضمان الحقيقي للدفاع عن الوجود الإسرائيلي والمصالح المشتركة في المنطقة ، من خلال (إغراق) إسرائيل بالمساعدات المادية والعسكرية ، تحسباً لأي (اعتداء) خارجي طارئ .

الانهيار السوفيتي ،

ومع انهيار المنظومة الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي ، وفي ظل النظام الدولي الجديد ، الذي يتطلب استقراراً لا يؤر توتر في العالم ، عقد المؤتمر الدولي للسلام في مدريد لعام ٩١ ، على مبدأ الأرض مقابل السلام حيث وعدت الإدارة الأمريكية ، أن تلعب دور (الوسيط النزيه) بين أقطاب النزاع ، إلا أن الكونجرس الأمريكي ، لم يزل يعلن بأغلبيته الساحقة ، التأييد المطلق للسياسات الإسرائيلية المتطرفة وخصوصاً تجاه (مسألة القدس) . ففي عام ١٩٩٠ تبنى الكونجرس بالإجماع قراراً أعلن فيه (أن الكونجرس يؤمن بقوة أن القدس يجب أن تبقى مدينة غير مقسمة) ، وفي عام ١٩٩٢ تبنى الكونجرس بمجلسيه قراراً بأحياء الذكرى الـ ٢٥ لتوحيد القدس . وفي مارس عام ١٩٩٣ وقع (٩٢) عضواً في مجلس الشيوخ رسالة إلى وزير الخارجية وارن كريستوفر (تشجع على بدء التخطيط الآن من أجل نقل مقر السفارة الأمريكية إلى مدينة القدس) وبعد ذلك بشهرين وقع (٢٥٧) عضواً في مجلس النواب رسالة لكريستوفر تحدد (إن نقل السفارة إلى القدس يجب أن يجري

في موعد لا يتعدى عام ١٩٩٩) .

وأخيراً أقر الكونجرس الأمريكي مشروع قانون نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس بحلول مايو من عام ١٩٩٩ وذلك بأغلبية (٩٢) صوتاً ضد خمسة أصوات في مجلس الشيوخ وبأغلبية (٢٧٤) صوتاً ضد (٢٧) صوتاً في مجلس النواب (مكافأة لإسرائيل على جهودها لإقامة السلام مع العرب) .

إلا أن الإدارة الأمريكية ، حاولت إظهار نفسها بمظهر المعارض لقرار الكونجرس ، دون أن تذهب بعيداً في معارضتها إلى حد استخدام كلينتون الفيتو الرئاسي الذي يتمتع به بذريعة أن ذلك (لن يغير النتيجة ولن يؤدي إلا إلى إطالة الجدل ويمكن أن يسبب أضراراً أكبر لعملية السلام) .

إن هذا التصريح الخجول للإدارة الأمريكية ، يؤكد موقفها الضمني من (العاصفة الأبدية لإسرائيل) ، قبل حلول زمن المفاوضات النهائية حول ملف القدس واللاجئين ، حيث ليس هناك متسع للتفاوض على قضايا باتت منجزة بحكم الواقع القائم .

وأخيراً ، ساهمت الإدارة الأمريكية في إخراج (اتفاق الخليل) إلى النور ، بعد أن مارست جميع أنواع الضغوط المتوافرة لديها ، على مركز القرار السياسي في سلطة الحكم الذاتي الفلسطيني . ذلك (الاتفاق) الجحف بحق الفلسطينيين ، والأسوأ من (اتفاق أوسلو) بشكل كبير .

بوش .. السلام الضائع ،

وقد جاءت إدارة الرئيس جورج بوش الابن لكي تكتب أسوأ وأخطر فصول الانحياز الأمريكي لإسرائيل التي لم تتورع عن

تمزيق اتفاق أوسلو والتي سعى رئيس وزارئها أرييل شارون إلى هدم ونسف كل فرص التسوية السلمية الشاملة والعادلة للصراع العربي - الإسرائيلي .

وإذا كان الرئيس بوش قد وعد الفلسطينيين بدولة مستقلة بحلول عام ٢٠٠٥ ، فإن هذا الوعد جاء بكل تأكيد داخل إطار التصور الصهيوني الإسرائيلي الليكودي الشاروني الذي يفرغ مثل هذه الدولة الفلسطينية من أى معنى حقيقى .



أزمة كيسنجر

حرب أكتوبر

وعملية السلام

في الشرق الأوسط

لعبة كيسنجر

■ ■ من وجهة نظر ويليام كوانت
العضو السابق في مجلس الأمن القومي
الأمريكي وأحد المشاركين في مفاوضات
كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل ، فإن
عملية السلام المصرية - الإسرائيلية
بدأت في اليوم الثاني من حرب
أكتوبر عام ١٩٧٣ ... ! ■ ■

الآن وبعد مرور حوالي ربع قرن على الدور الخطير الذي لعبه هنري كيسنجر سواء خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣ أو في عقد اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل .. هناك سؤال مهم يطرح نفسه بكل قوة بعيداً عن تضارب الآراء وتصادم الرؤى حول اتفاقيات كامب ديفيد .. ظروفها ومقدماتها وبنودها .

هذا السؤال هو : هل يمكن اعتبار كل ما يتعلق بهذه الاتفاقيات نموذجاً يتعين السعي وراءه من أجل الوصول إلى سلام آخر في الشرق الأوسط ؟ وبمعنى آخر ، هل يحتاج التوصل إلى سلام بين الفلسطينيين وإسرائيل إلى كيسنجر جديد ، أم أن قواعد اللعبة تغيرت لدرجة جعلت أساليب داهية السياسة الأمريكية جزءاً عتيقاً من التاريخ تجاوزته الأحداث وأصبح الرجوع إليه مجرد عودة إلى الماضي تحتاج لاختراع اسمه آلة الزمن !

على هذا السؤال يجيب أحد رجال وتلاميذ كيسنجر البارزين

وهو ويليام كوانت عضو مجلس الأمن القومي الأمريكي السابق الذي شارك في مفاوضات كامب ديفيد بين السادات وبيجين وكارثر .

يطرح كوانت تصوراً مهماً لكيفية بداية عملية السلام المصرية-الإسرائيلية التي يرى أنها ولدت في اليوم الثاني من حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ . ففي اليوم السابع من شهر أكتوبر عام ١٩٧٣ وبعد مرور يوم واحد من اندلاع الحرب بين مصر وإسرائيل ، تلقى البيت الأبيض رسالة عبر قنوات وكالة الاستخبارات الأمريكية وكانت من الرئيس المصري أنور السادات. يقول السادات في تلك الرسالة التي كانت مرسلة إلى وزير الخارجية الأمريكي آنذاك هنري كيسنجر والرئيس نيكسون «أعلم جيداً أنه مادامت الحرب مستمرة ستبقى حتماً هناك خلافات بيننا. ولكنني أود أن أخبرك أنني لم أذهب إلى تلك الحرب بدافع تدمير إسرائيل وإنما لتدمير ما يعوق طريق السلام وعندما تنتهي الحرب فإنني أطلب منكم أنتم أيها الأمريكيون أن تتدخلوا وتساعدوا في العثور على حل دبلوماسي لهذا الصراع ».

وطبقاً لما يقوله ويليام كوانت ، فإن هذه الرسالة كانت الأولى من نوعها التي تستلمها الولايات المتحدة من الرئيس المصري أنور السادات .

ووصف كوانت في مقابلة معه من مكتبه في ولاية فرجينيا الأمريكية ، الظروف التي مهدت الطريق إلى اتفاقية كامب ديفيد

كما أوضح آراءه بالنسبة للمحاولات التي قامت بها الإدارات الأمريكية المتلاحقة في سبيل صياغة السلام عن طريق الضغط على النقاط المشتركة بين الأطراف وكذلك فلقد ذكر كوانت في هذه المقابلة آراءه في الشخصيات المختلفة التي تعمل على مائدة المفاوضات وكذلك فيما يعتبره مبادئ الوصول لتسوية في المستقبل .

لقد وضعت رسالة السادات للبيت الأبيض الكرة في الملعب الأمريكي . يقول كوانت « لقد جعلت هذه الرسالة كيسنجر يفكر ملياً في تلك اللحظة التي ستنتهي فيها الحرب ، وكان عليه أن يعمل بجهد للوصول إلى تسوية سلمية ومع اقتراب انتهاء حرب أكتوبر أصبح كيسنجر عازماً على ألا يسمح للإسرائيليين بتدمير الجيش المصري لأنه كان يعلم أن تلك الاحتمالية ستجعل من المستحيل أن يجلس السادات على مائدة المفاوضات مع إسرائيل .

وجاءت قمة كامب ديفيد بعد خمس سنين من انتهاء الحرب وبعد فترة من الدبلوماسية المكثفة . فيقول كوانت « كان لكل منا تنبؤ صحيح إلى حد كبير حيال النتيجة التي ستصل إليها المفاوضات ، كما يضيف « ولم يكن السؤال حينها يدور حول فحوى الاتفاق المصري - الإسرائيلي بقدر ما كان يدور حول ما يمكن الحصول عليه من سلام يفوق حدود اتفاق ثنائي بين مصر وإسرائيل » . وطبقاً لكلام كوانت ، فإن كل من شارك في مفاوضات السلام بين مصر وإسرائيل كان يملك تصوراً بأنه إذا

تم إحلال السلام بين الطرفين ، فإن ذلك يستلزم عودة شبه جزيرة سيناء بالكامل إلى مصر في مقابل اعتراف مصر بدولة إسرائيل وأمنها .

ولا يمكن بأي حال من الأحوال مقارنة ما دار بين مصر وإسرائيل في كامب ديفيد بما يجري الآن على الساحة في الشرق الأوسط ، فلقد أصبح الوضع أسوأ بكثير . يرى كوانت أن الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش قد حافظ لفترة قصيرة على ابتعاده عن التورط في قضايا صنع السلام الشائكة ، ويقول أيضاً « إنه لم يعد هناك أساس يمكن البناء عليه ، وعلى عكس الوضع في كامب ديفيد حيث كان هناك زعيمان قويان نسبيا يديران الصراع فلدينا الآن زعيم قوى للغاية هو شارون وعلى الجانب الآخر هناك الزعيم الفلسطيني الذي لم يتم اختباره بعد » .

فإذا نظرنا إلى رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق مناحم بيجين وكان ابيدولوجيا حقيقياً ، فإنه لم يكن ليوافق أبداً على اقتراح إلزام إسرائيل بالتخلي عن الضفة الغربية يوماً من الأيام وهذا كما يقول كوانت ما يميزه عن رئيس الوزراء الحالي ارييل شارون يقول كوانت « يعتبر بيجين عملياً حيال قضايا سيناء وحتى بخصوص التخلي عن المستوطنات والحديث بتعقل عن الترتيبات الأمنية ، ولكننا إذا حاولنا فعل ذلك ، فإن بيجين لن يوافق أبداً على هذا . لن يستخدم بيجين مسمى « الضفة الغربية » ، لن يسمح بطرح قضية القدس للتفاوض عليها ؛ لقد كان حقاً صلفاً حيال تلك الأمور » .

ففى خضم المفاوضات قال بيجين ذات مرة ، « لن أبقي رئيساً لوزراء إسرائيل إلى الأبد وقد يحمل خليفتى فى المنصب رؤية مختلفة عن رؤيتى للموقف ولكنى لن أصبح أبداً رئيس وزراء إسرائيل الذى يتخلى عن يهودا والسامرة «الضفة الغربية» وهذا ما دفع الأمريكيين أن يبذلوا قصارى جهدهم فى إبقاء مساحة صغيرة للمرونة والتحاور ولكن لم يكن بيجين ليفعلها ، لقد كان مساوماً شرساً ولكنه قد يقدم بعض التنازلات عند الضرورة » .

وعلى الجانب الآخر نجد شارون أكثر مرونة - من وجهة نظر كوانت - فهو على عكس مناحم بيجين لا يملك الاعتقاد الايديولوجى الراسخ بأن كل شبر مما تطلق عليه إسرائيل يهودا والسامرة يجب أن يظل تحت السيطرة الإسرائيلية . فشارون كما يقول كوانت لديه خطة أمنية محكمة كما أنه يعرف جيداً المستوطنات والمناطق الاستراتيجية التى يجب أن تحتفظ بها إسرائيل ولا تسام عليها أبداً . « لن يظهر شارون أية مرونة تذكر فى قضايا تتعلق بالقدس أو بإزالة المستوطنات أو بالعودة إلى حدود ١٩٦٧ مع التعديلات الطفيفة عليها ، فهذه هى القضايا التى أعتقد أن شارون لن يناقشها على مائدة المفاوضات » .

إن تقدير معظم المراقبين يقول إن شارون سوف يتجنب المواجهة أو الحديث بشأن تلك القضايا فى الوقت الحالى عن طريق تأخيرهم حتى المرحلة الأخيرة من المفاوضات . يقول كوانت « كلما يقترب الفلسطينيون من قضايا حقوق اللاجئين ،

الحدود النهائية ، القدس أو إزالة المستوطنات ، سيظهر شارون حينها عناده وعزمه على ألا يتزحزح بعيداً عن مواقفه الثابتة حيال تلك القضايا ، ولكن مع ذلك تبقى هناك مساحة من المرونة ، فويليام كوانت يؤمن بأنه في بعض الأحيان قد تقلب الدبلوماسية الأمور رأساً على عقب وأنه وسط هذا الشك قد تفتح الأبواب التي كانت بالأمس مغلقة .

وقد ينطبق هذا الكلام على الموقف الحالي للصراع حيث إن ما يريده الفلسطينيون هو ألا يظهرُوا كمعقبة في طريق تحقيق السلام . كما أن أرييل شارون مهتم جداً بالآيلومه أحد يوماً ما على إعاقة المبادرة الأمريكية التي ترمي إلى أهداف استراتيجية تفوق بكثير السلام الفلسطيني - الإسرائيلي يقول كوانت « أعتقد أنه بالنسبة لبوش فإنها محاولة من جانبه ليؤكد للمشككين في العالم العربي أن الولايات المتحدة ليست متحيزة إلى جانب إسرائيل كلياً » مضيفاً بأنه في الواقع لا يثق في أن هذه الإدارة قد تتدخل في الصراع أكثر من هذا فهي تكتفي بالبقاء رمزياً فيه .

ففي مقابل أربعة عشر يوماً من المفاوضات قضاهها الرئيس الأمريكي السابق كارتر في كامب ديفيد منذ خمس وعشرين سنة ، مكث بوش يوماً واحداً فقط في قمة العقبة وهذا طبقاً لما يقوله كوانت فرقاً جوهرياً بينهما . يقول كوانت « لقد كان كلينتون وبالرغم من قلة خبرته قادراً على إدارة المفاوضات بالإضافة إلى أنه استثمر جزءاً ليس بالقليل من رصيده الشخصي

والسياسي في سبيل تطوير العلاقات مع كل من ياسر عرفات وياهو باراك ومن قبله إسحاق رابين . ويكمل . كان عليماً بالقضايا أكثر بكثير من بوش وكان أيضاً لديه قدر من العقلية ولكنه فشل في النهاية .

يدخل بوش أيضاً المفاوضات ووراء دعم سياسي ضخم في الولايات المتحدة ولكنه لم يختبر بعد في تلك المواقف بالإضافة إلى أنه مقبل على فرصة لإعادة انتخابه في العام المقبل الأمر الذي يجعل موقفه شائكاً ودقيقاً . فعندما عقد كلينتون قمته في كامب ديفيد لم يكن عليه أن يقلق بشأن إعادة انتخابه في عام ٢٠٠٠ لذلك . فإن القوى المحركة لكل من بوش وكلينتون تختلف اختلافاً جذرياً عن بعضها البعض . ويقول كوانت . لم يكن كارتر بطبيعته بالشخص ذي العقلية السياسية . فذهابه إلى القمة في العام الثاني من رئاسته يعني أنه لم يكن يهتم كثيراً بتأثير ذلك على فرصه في إعادة انتخابه مرة أخرى كرئيس للولايات المتحدة الأمريكية .

وبجانب تلك الاعتبارات الداخلية فلطالما كان هناك اعتقاد بأن المفاوضات لا تكون أبداً مباشرة وواضحة ودائماً ما تصبح غريبة بعض الشيء .. يصف كوانت جو تلك الاجتماعات بأنه تجد فيه الأطراف لا تود الحديث مع بعضها البعض بقدر ما تود الحديث مع الولايات المتحدة . فعندما جلس السادات مع كارتر في كامب ديفيد قام بإعطائه عرضاً مصرحاً رسمياً . وفي الوقت ذاته

وحسب ما يقوله كوانت ، فإن السادات أعطى كارتير كل التنازلات التي كان مستعداً أن يقدمها وقال له «والآن قم أنت بالتفاوض ، أنت تعلم موقفى جيداً ولكن عليك الحصول على شيء ما فى مقابل التنازلات التي أنا على أتم استعداد لتقديمها ».

وانتهى الأمر بقيام الأمريكيين بمعظم عمليات التفاوض وقد أدركوا أن أنور السادات لا يمكنه تغيير موقفه حيال نقطة أو نقطتين . وهكذا لا يصبح السؤال الآن ببساطة هو عما إذا كان بوش يريد الانخراط بقوة فى المفاوضات وإنما عن كيفية تقاديه لعقبة محتملة فى الطريق بالإضافة إلى عواقبها وتبعاتها . يقول كوانت «على الزعماء أن ينظروا للمفاوضات على أنها صفقة وأن كل تنازل يقدمونه فيها سيحصلون على شيء مقابله وألا فسياسياً تصبح المفاوضات غير مجدية » ويضيف قائلاً : « وفى هذه المنطقة يمكن أن تصبح الولايات المتحدة مفيدة عندما تقول إنها ستتحمل اللوم على وضع تلك الصفقة برمتها وهذا هو الدور الذى لطالما كرهت أن تلعبه بالرغم من كونه دور فائق الأهمية » .

يجب على الولايات المتحدة خلق موقف يرضى جميع الأطراف على طاولة المفاوضات . عليها أن تقدم تسويات مضمينة كما أن عليها كما يقول كوانت « أن تلعب دوراً أكبر فى تقديم حلول لقضايا جوهرية ولا تكتفى بمجرد جمع الطرفين فى مكان واحد . يقول ويليام كوانت وهو يطبق هذا الكلام على المفاوضات فى كامب ديفيد » لقد جاء إلينا موسى ديان ذات مرة وقال « إننا

مستعدون لتقديم التنازلات للمصريين ولكننا ولأسباب سياسية لن يكون بمقدورنا عرض ما يمكننا التنازل عنه على المصريين، فقط لن يكون هذا ممكنا أما لو قمتم أنتم أيها الأمريكيون بهذا العرض وأجبرتمونا على قبوله ففي هذه الحالة ومن منظور سياسى بحث سيتفهم شعبنا لماذا اضطررنا للموافقة على ما تقولونه .

وبتنحية الولايات المتحدة جانباً، فإن على الفلسطينيين والإسرائيليين كما يقول كوانت أن يرتقوا إلى درجة محددة من اللياقة فى التعامل مع القضايا . فكل طرف عليه أن يبدأ ويقول علانية ما يتلاءم مع فكرة المرحلة الجديدة التى ستبدأ ، بمعنى الحديث عن العلاقة السلمية التى يأمل كل طرف فى أن يراها تتبلور وتتجسد .

ويكمل كوانت : لا تستطيع تصوير الطرف الآخر على أنه الشيطان بينما أنت بالفعل تسعى لصنع سلام معه . هذا بالإضافة إلى أن المفاوضات الجديدة لا بد لها وأن تتم خارج النطاق العلنى ، أن تبدأ عبر قنوات خاصة وتبقى سرا لفترة من الوقت . إن تلك التسويات التى يجب وضعها فى الاعتبار تعتبر حساسة للغاية وفى حاجة ماسة إلى الحصول على طريق للتفاوض بدون التسييب الدائم لفحوى تلك المفاوضات بطريقة تضع الطرف الآخر فى موقف حرج للغاية .

إن لقاء العقبة الذى شارك فيه بوش مع شارون ورئيس الوزراء الفلسطينى السابق أبو مازن ، خطوة على الطريق

الصحيح نحو تحقيق اتفاق يضع حداً لصراع مزير ومحير نحو السلام ، لقد كان بالفعل بمثابة يوم تقديم فاتورة الحساب بالنسبة لجورج دبليو بوش وتبقى كل العيون مترقبة لترى ما إذا كان الرئيس الأمريكى سوف يستطيع تسديد تلك الفاتورام لا . خاصة بعد استقالة أبو مازن وإضافة تعقيدات أخرى لرؤية بوش حول كيفية تحقيق السلام فى الشرق الأوسط بطريقة ربما تختلف كثيراً عن مفاهيم وأساليب داهية السياسة الأمريكية هنرى كيسنجر .

رقم الإيداع

٢٠٠٣/١٥١٣٨

الترقيم الدولي

977 - 08 - 1122 - X

